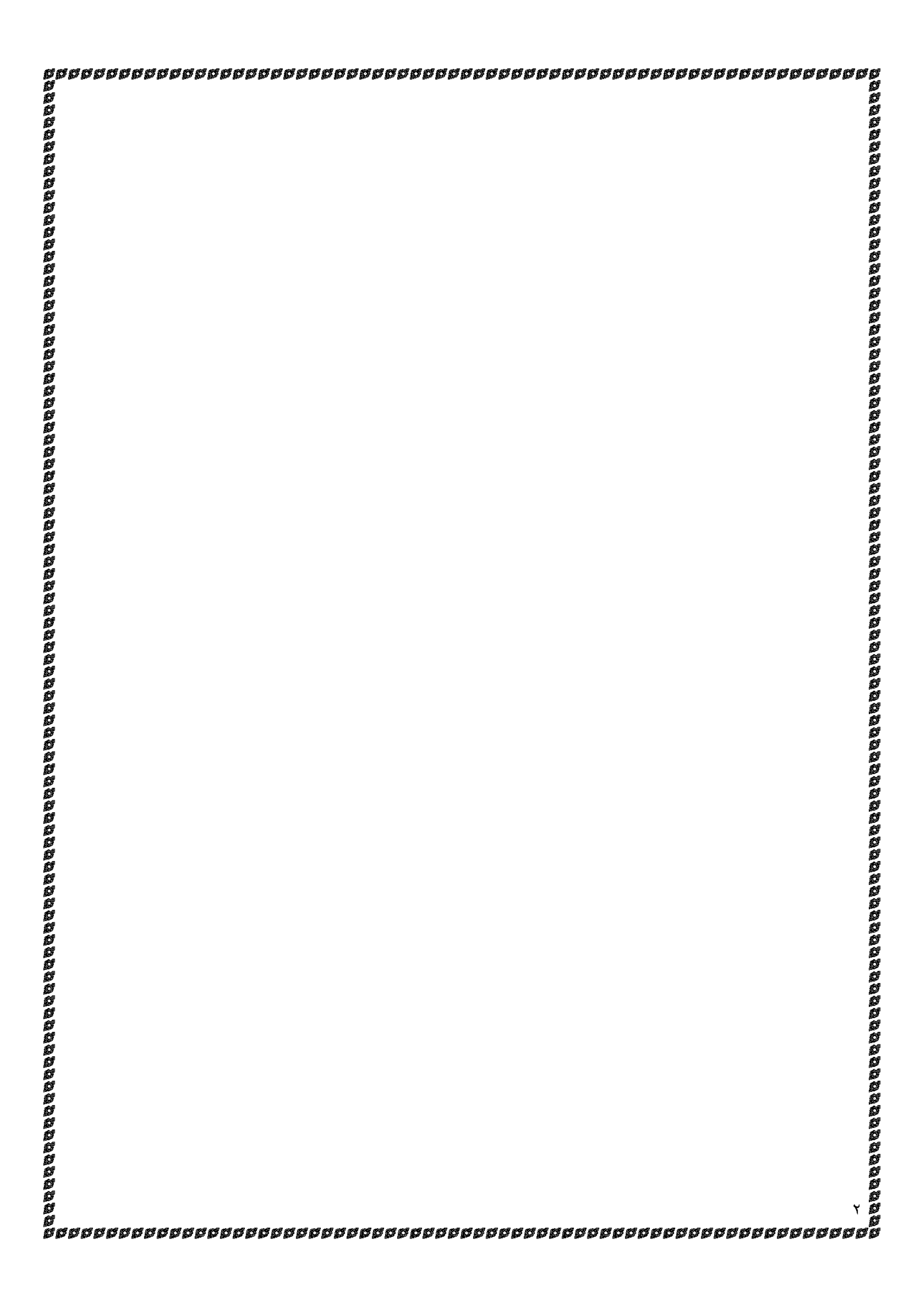
المهدي المنتظر والخلافة الراشدة

قصتان من الخيال الإسلامي

تأليف
شاكر صبري



<u>إهداء</u>

<u>إلى والدي رحمة الله عليه</u>

يا أيها الصلب الذي في غير خير لا تراه

متبسماً متفائلاً في ظل ملحمة الحياة

لا يرنو نحو مخاصم ذابت من التقوي يداه

محسود حتى في التجلد مغبوط دوماً في رضاه

ويجر جر الجسم الأليم ولا يبالي ما دهاه

حب لكل فضيلة ..... لد لأعوان الطغاة

متبحراً في كل فن يسعـد الناس شذاه

يبني ويمعن في البناء وخلفه هم كفاه

لكنه لا ينحني إلا لسلطان الإله

فارحل بصبرك يا أبي فلإنه طوق النجاة

مقدمة

هذا الكتاب عبارة عن قصيتين من الخيال الإسلامي للتغيرات التي ستصاحب العالم الإسلامي في المرحلة القادمة

التغير الأول : **حتي وجود المهدي المنتظر والخلافة الراشدة التي وردا في السيرة النبوية.**

التغير الثاني: **وهو ما سيطرأ علي العالم بعد ذلك حتي تنتهي الحياة علي كوكب الأرض وتقوم الساعة وهذا وإن كان فيه خيال واسع وفيه مخاوف من الوقوع في أخطاء دينية.**

فإن هذا ما أتركه للقارئ البصير من استيعاب للجانب الفني وإن كنت قصرت فأرجو من الله أن يرحم ذلتي وكلنا قابل للخطأ.

وذيلت الكتاب بمسرحية " رحلة الشيطان " وهي من الخيال الإسلامي وهي من فصل واحد وتتكون من أحد عشر مشهدا مستقلا لأحوال الشيطان وتطور فكره وأحواله ثم نهايته ودخوله النار لا محالة .. وهي تناقش قضية الكبر الذي اردى به إلى الهاوية وإن هذا الكبر هو دافعه الأكبر إلى إغواء الإنسان ولأنه يعرف الخير فقدرته علي الإغواء أعظم ولكنه يعاند وكبره يمنعه من التوبة

وأرجو من الله أن يجعل أعمالنا في ميزان حسناتنا وأن تكون لنا لاعلينا.

والله الموفق

شاكر صبري

المهدي المنتظر

البدايـــــــــــــــــــــة

وقف الشيخ محمد وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره فوق المنبر ثم قال وقد وقف ارتجالاً . " إن الحمد لله نحمده حمد الشاكرين ونذكره ذكر العابدين . ونصلي ونسلم علي المبعوث رحمة للعالمين . أيها الناس اتقوا الله حق تقاته وأدوا له فرائضه وأطيعوه . فإنه بطاعة الله تصلون إلي مراتب السمو . وتنكشف عنكم غمة الزمان . أطيعوه يهدكم " وظل الشيخ الفتي . يسرد خطبته . ويزداد انفعاله كأمه رجل كبير أو شيخ جليل وأكمل الخطبة واستقبله الناس بالترحاب والسرور لما وجدوا في ذلك الفتي من سبر أغوار جراحهم . كان الفتي محمد محباً للثقافة الدينية وهو لم يزل في مراحله الأولي وقد طعمته البيئة حوله بما أراد من فكر وما تيسر مع سنه من معلومات والفتي يكبر ويتقدم سنه ويكبر عقله ولكن مع كبر العقل كان هناك تثاقل عن طلب العلم الضغوط المادية تزداد حوله والعبء يزيد ويثقل عليه أبوه ذلك الرجل المتشدد العصبي لا يستطيع معه راحة ولا سهراً له هفوات عصبية لاتتمشي مع ذلك الفتي الذي أكمل الثامنة عشر من عمره وخاصة أن الأسرة من حوله إحدى عشر فرداً وله أربعة من البنات خلفه مباشرة والفتي بطبعه مقبل علي العلم وهو محب للدين والقراءة ولكن ماذا يفعل؟

السن يندرج به . الأفكار تتوالي حوله والفقر ينصب شراكه ويزداد فكره ولكن لاسبيل إلي الوصال.

كان الفتي يتردد دائماً إلي المسجد ذلك المسجد الكبير وكان يحب دائماً الصف الأول ورآه شيخ الجماعة الإسلامية التي تدعي الأعوان تعرف عليه والفتي لا يدري مكنونه ويدعوه إلي ندوات ولقاءات داخلية ويخبره ألا يعلم أحداً بما يفعل ويدعوه إلي إفطار جماعي مع بقية الأخوة ثم مع قادة كبار ثم مع أشبال الدعوة كما كانوا يسمونهم والفتي يندرج وخاصة أنه يلقي من الجماعة الإعانات الغير مباشرة والروحانية التي تملأ عليه خياله الخصب وفؤاده الكبير ومرت الأيام والفتي يزداد اندماجاً ولكنه سرعان ما بدء يمل من تلك الجماعة خاصة وأنه كان يجد كلاماً ليس أفعالاً وأن الناس لا يتأثرون وخاصة وأن الجماعة تضطهد من قبل الدولة كان يجد أنهم يحبون المداراة ويسعون جاهدين إلي إخفاء أسرارهم والفتي ببصيرته غير مقتنع بعاقبة أمورهم ولكنه يسير معهم وهو يقول إن القيمة الدينية تكون في عمل أي شئ إن كان ذو فائدة ونفع للناس أما عواقب تلك الجماعة فلا قيمة لأعمالها ولكنه يسير مع الركب وهو منقاد تحت إمرتها ولكنه يضعف . ومستواه يندثر في الدراسة وهو ينظر حوله ويجد حوله فتناً جمة والفتيات حوله في المعهد الذي يجاور معهده قد خلعن النقاب واتجهن إلي الزي العادي وهو يقول ما قيمة تلك الثورة التي يقوم بها الأعوان وما قيمة ما تبذله الجماعات الأخري . وهناك نخر في صميم الدعوة وهو يزداد تمرداً وهو غير مقتنع بما يدور حوله

إن التلفاز قد أفسد عقول الشباب والفتيات والأطفال إن الفتي يدرك أن هناك سراً ولكنه لم يكد يستوعبه وخاصة أن ثورته وانفعالاته تتجه للأمام وهو يدرك أن تلك الحضارة لها آثار عظيمة وأن التليفزيون له فوائد كبيرة... ولكنه يدرك أن هناك غزواً يحيط البلدة وشبابها ، لم يكن يستطيع بعقله إدراكها وهو يخزن داخل أعماقه

اللاشعورية وخاصة أن الحالة الأسرية تزداد سوءاً وأنه من أسرة صغيرة متواضعة الحال ، والأب مريض وهو علي ماهو عليه وأكثر لم يعد الفتي يجد متنفساً لأحزانه أو مخرجاً لأوهانه وأخواته اللاتي تزداد طلباتهن وهو في مرحلة الضعف القصوي .. ولكنه يتجه إلي الشعر .. ويبدأ في العكوف عليه وسرعان ما يتجه إلي الشعر الديني ويبدأ قصائد بقوله.

أسلمت نفسي للكريم الباري   رب البرايا خالــق متعالي
وشددت رحلي كي أنال سخاءه   وجلوت نفسي عند كل رحالي

ويعجب المدرسون والناس حوله بقصائده وخاصة وأنه قد عزف عن معاملة الناس واتجه إلي الانزواء حتي لا يجلب علي تفكيره سوءات التأمل الذي يقوده إلي المرض.. وهو متيقن بأنه لا محالة مقبل .. ولقد أصيب الفتي بالتهاب كبدي وبائي وقد علم ذلك بنفسه بدون وصف أطباء إن أعراض المرض ظاهرة كلها عليه ولكنه يتجمل أمام الناس ولايعلم أحد به والأحقاد تظهر حوله وخاصة وأنه في نهاية المرحلة الثانوية.....والأنظار الحاسدة تصوب إليه.. ويقضي الفتي مرحلة الثانوية في فقر مدقع وكبت مؤلم وينتهي من دراسته ولم يعد يجد سبيل إلي مساعدة من أحد إنه لا يسمح أحد بمساعدته كما أن أخواته البنات الكثيرات اللائي جعلن حوله سورا من اللعنات وشققن حوله أنهاراً من الخوف عليهن لم يكن يجد في أي واحدة منهن عقلاً خصيباً أو كلمة طيبة تخفف عنه من وعثاء جهده وعنائه الموصول. ولكنه لم يعد يجد بد من مقاومة ذلك التيار الجارف الذي ينجرف به إلي الهاوية وهو ينفطر كمداً ويتطلع إلي مستقبله فيجده مليئاً بالصدمات والفجوات التي ربما حطت به إلي أسافل المستويات . ولكنه لم ييأس ولم يعرف بعد طريق اليأس ثم إن هناك تلك الجماعة التي أحاطت بفكره وعقله وشغافه فسلسلته بأفكارها ولطمته بمعتقداتها فسار تائهاً بين شذرات الفكر وأفكار الحياة وسرعان ما اندرج تحت أنماطها بدون وعي أو بصيرة فقد أظلمت كل سبله وانطفأت كل أنواره.

مرحلة العناء الشديد

بدأت التحريات الأمنية عن ذلك الشاب الذي أصبح لا يعي تصرفاته وسرعان ما استدعي إلي أمن الدولة ليقضي هناك شهراً في أجازة نهاية العام . ويخرج في حالة رثة وانهيار في معنوياته أكثر... وثمت تنهال عليه العقد وتتحطم معنوياته ... ومع ذلك فهو يستعد لقضاء المرحلة الجامعية في ثوب من الفتور وحوله الصعاب الجسام وقد زادت مشكلته تعقيداً وفكره تحبراً وانخرط الفتي في تلك الجماعة وقد انفلت زمام تدبيره للأمور ... ويقضي عامه الأول من كلية الهندسة في المعتقل ويقضي الفتي أيام المعتقل بين الحماس والفتور بين الأمل واليأس . ولكي يفرج أسر عقله بالشعر تارة وبالكتابة تارة أخري وبالصلاة بين الحين والآخر مع إخوانه أصحاب تلك الجماعة وها هو ينطوي تحت فكره حتي لايصاب بالجنون وهو يرسل الأشعار البريئة من تحت فؤاده المجروح وهو يقول ....

في رحاب الليل أدعو والدجي بيت ظليل
وأنا بالباب أرنو لائذ عـبد ذليل
ياإله العرش صني واحفظ القلب العليل
أن للنفس مناها واستجابت للجميل

ويزداد في كتابة أشعاره وهو يدرك بحماسه أهداف جماعته وهو الوصول إلي الحكم ولكنه بفؤاده المستنير متصل بالله حيث أن هناك صراعات كثيرة حوله ويضطر إلي السير وراء الهتافات والمشي علي الأشواك وهو في أوج عنائه ولكنه ماذا يصنع ومع ذلك فهو يلقي العناء والعنت والاضطهاد فهو يعيش مرحلة ما قبل السقوط ، لكن شعره يخفف عنه بعضاً من أوهانه ويخفف عنه شيئاً من طيات حزنه ليبعث من داخله حزن عميق يرسله خلف الكلمات.

ولكنه مازال يئن تحت وطأة الشتات.
ويخرج الفتي من معتقله ليكمل سنتين في كلية الهندسة ويستمر الفتي في الدراسة وقد هذب من طموحه وشذب من طباعه وينظر حوله ببصيرة واعية لعله يجد سبيلا إلي الصلاح ولكنه لايكاد ينظر حتي ينطوي تحت سيل من الأفكار ووابل من الآمال التي لاتكاد تتناسب مع عبقريته الفطرية وسجيته الموروثة ثم إنه ما يزال يئن تحت اضطهاد جماعته.
بدأ الفتي يتغير فكره شيئاً ما تجاه الجماعة حيث علم أنها مجموعة من الشباب الطامح المتطلع للقمة والثائر الفطرة ولكنهم قد طعموا بفكر ديني ولكن بعد أن أنطبع حب السياسة في أفئدتهم فهم يحملون وازعاً دينياً مع أن ما بداخلهم لم يتزحزح أو يتغير.

مرحلة التغير

ويظل يتساءل الفتي لماذا انضممت إلي تلك الجماعة أهي علي خطأ أم أنا علي خطأ ولكنه يفكر ويتأمل ويعلم أنها كانت أضغاث أحلام ولكن ماذا كان يصنع ؟ ومع ذلك فهو لم يزل يسري وراء التيار وسرعان ما يشترك في مظاهرة فهو لم يعد يميز بين الصواب والخطأ إنه بقريحته يعرف مكان الخطر ولكن الوجدان أصبح ملتهباً والعقل أصبح راكداً وأصبح شعره كله سلبي التكوين وحياته كلها هادئة النبرة يكتم أنفاسه المأسورة حين ينقاد للمعتقل للمرة الثانية ويلقي فيه ما يلقي من عنت والسبب أن الظروف السياسية كانت أشد فهناك حوادث قتل وتدمير كثيرة والفتي وقد أقبل علي عصر الطاقة الشمسية يبدأ في التمرد علي الحياة ولكن لم يعد يجد صدراً يستمع إليه أو قلباً رؤوما يركن عليه . وهو يمر في داخله بأطوار

الضعف والقوة والأخذ والعطاء ولكن الضغوط عليه أشد إن أيامه تنفلت من بين أصابعه وها هو أقبل علي الرابعة والعشرين ولم يكمل دراسته بعد زملاؤه في العام النهائي وهو يقول إن هذه الجماعات لم أنل منها أو أجني من جرائها غير الوبال والنكد وبدأ ينافق ثم ما كان منه إلا أنه كتب قصيدة في آواخر أيام معتقله وسجلها لتنشر له......

يا ناحل الدمع ياريان واديه ياسايل الخير والأحقاد ترميه

هذا شبابك يسرقه طمعاً هل كان حراً للأضغان تلقيه

أضناك بعد عن الأقران فلتبغي حب الإله وذاك الأمر تبغيه

لاتنتظر الخير في عبد به مرض إن شاء ربك يهدينا ويهديه

يسير الفتي في هذه الفترات وقد كره كل طموح اجتماعي أو وطني إنه ينظر الآن إلي نفسه فلا يجد فراغ فكري وحالة من الحرمان والاضطهاد ثم أبواه المريضان زاد هو بسببهما وهما بسببه ظمأ علي ظمأ وانحداراً تحت انحدار.

إن المعاملة السيئة التي لم يعد يطيقها الفتي قد كلفته الضيق والضجر وبطر العيش . ماذا جني ؟ ماذا استفاد من انضمامه للجماعة لم ينل غير السب والإهانة حتي من أولئك المعاتيه الذين يسلطون عليه مثل الحيوانات التي ليس لها أي اتصال بالعالم هؤلاء الجلاميد الأفذاذ ، تلك النظرات شذراً هذه الأطعمة التي ترمي إليه كما يرمي البرسيم للحيوانات.

هو يتألم يقول ماذا جنيت؟ ولكن لا يمكنني أن أعيش هكذا عيشة طيبة . لقد آن لي أن أستمتع بالحياة مثل بقية الناس ومع ما أصابه من وخز العناء ومتطلبات البقاء فإنه قد انكمشت لديه نوازع الخير وهو يحكم علي نفسه بالجموح الأيدي والزهد المقنع .

ويقبل الضابط علي الفتي كل يوم ليطمئن علي حاله ويسمعه أقذع الألفاظ وأقبح الشتائم ومع ذلك فهو يدرك أن الفتي علي وشك الجنون أو الاستسلام والتسليم للواقع بدون تفكير أو حتي كبح ذلك

الفكر الطافي. والفتي يذوب في صراعاته ومآسيه لم يعد يقبل الحياة إنه يتطلع إلي الحرية لقد انغلقت في وجهه أبواب الاستقرار الديني وتحددت طرق السير.
أصيب في معتقله بحالة من الفوضي لم يعد يصلي لم يعد يتكلم لم يعد يصل إليه الضوء لقد أصيب بالاكتئاب لم يكن يعلم أن الإنسان أضعف مما يتصور كان يعلم أن حجب الضوء عنه فترة طويلة قد جعل حرمانه يزداد واكتئابه يثقل ولكن ماذا يصنع.
بدأ يغير سلوكه في المعتقل وكتب عنه أنه حسن السير والسلوك وسرعان ما أصيب بأزمة صحية وبدأت عليه ملامح الإعياء الشديد وهكذا خرج الفتي الشاب من المعتقل كهلاً رث الحال ليعود إلي سنته الأخيرة بالكلية وينظر إلي والده . تزوجت أختاه وقد ارتاح لأن عبء والده قد انقشع عن كاهله وعبء أختيه وكل اتجاهه الآن أصبح أن يصنع لنفسه شيئاً أو أن يعيش كما يعيش الناس إنه يعلم أنه ليس أحد أحق منه بأن يستمتع هو بالحياة ويتركه يجري وراء سراب والناس يتلذذون حوله وينظرون إلي ذلك المناضل ولكنها نظرة نفور ودونية يبدأ في إكمال دراسته وأمله أن ينهي السنة النهائية له في الجامعة علي مضض وعناء.

المواجهة

يقابل الشاب في حياته الجامعية والعامة طريقاً كئيباً ومنحدراً وعراً الناس ينظرون إليه أنه إرهابي أو مجرم وكذلك ينظرون لزملائه في الجامعة ما بين خائف منه وما بين كاره وما بين مساعد له وجاعل منه بطلاً ولكنه في نفسه وقد أقلع عن ذلك التيار الجارف ماذا يفعل ويصاحب من ؟ ولكنه كان يخفض جناح الذل لإخوانه السابقين ولكنه كان يتحجج لهم بحجج واهية فهو لم حتي يطيق

التعامل معهم لأنهم أذاقوه شتاتاً فكرياً لم يعد يفيق بعد منه وهو يقول : تعلم من أي إنسان واكتسب المعرفة من أي إنسان.
وها هو قد كبر واستطاع أن يميز بين الخبيث والطيب ولكنه فتح قلبه لكل من حوله وهو يعلم أنه مجبر لا بطل ولكنه يقول ... إن للناس لن يرحموك . إنك بين اضطهادات أمنية وصراعات فكرية ثم إن الناس أنفسهم يخافون منك لم يعد يجد مكاناً معيناً يجد فيه راحته الناس والجامعة المناظر الخليعة هو لم تزل عند صبوة الشباب وعزيمة الفكر ومع أنه أصبح في خانة اليك لايستطيع الهروب منها إلا أنه لا يستطيع التكيف لقد سخر كل عقله في التكييف مع المجتمع إن الضغوط تهز جوفه هزاً . وهو يري زملاءه يستمتعون بأيامهم ويعيشون أزهر مراحل حياتهم أما هو فإنه يعيش مرحلة الشيخوخة المبكرة وسنه المتقدم وأمراضه التي يجدها في بدنه ثم تجاهل الآخرين له لقد أصبح الحثالة يتجاهلونه وهو يدرك ذلك ولكنه يغمض الطرف عنهم احتقاراً لهم وحفظاً لنفسه من التهافت معهم ولم يعد يطيق التعامل مع الصعاليك إن الناس علي درجات ولابد أن لاتكرم إلا من يستحق الكرم وهو يتذكر قول المتنبي....
وإذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً
وتمر الأيام . ويفرغ من دراسته ومن هنا يبدأ في الحرية من جديد ولكنه يقول من ما أتكسب والطريق حولي مسدود بسبب حالتي الإرهابية إنه كان في الكلية يستفيد من مسابقات الشعر و القرآن التي كانت تجريها الكلية والجامعة حتي يساهم في الزيادة من دخله أما هو الآن وقد أفرغ دراسته وحصل علي إعفاء من الجيش لأنه إرهابي أصبح من العسير لديه العمل في الوظائف الكبري إن له طموحاً اجتماعيا إنه يتمني أن يصبح دكتوراً في الجامعة أو وزيراً أو رجلا. ذو منصب مؤثر . إنه يحب الاستقلالية.

يجلس مع نفسه ويتحسر علي أيام طيشه ولكنه يقول ما الذي كان بإمكاني فعله . لأنها مرحلة لابد منها والمراهقة تختلف . ولكنه يقول إن هناك الكثير من حوله . ممن لاتمر بهم هذه المراحل . ولكنه يقول : اقتنع أن المرء ما هو إلا مادة كيميائية تتأثر بالظروف المحيطة وبنوع المادة.

الكون أمامه ملغم والحياة صعبة والبداية مريرة ولكنه بدأ يرسم لنفسه منهجاً واضحاً وطريقاً جديداً فالحياة لابد أن يحياها كما أمره الله تعالي. وبدأ يرسم لنفسه كيف سيتخطي العقبات العقبات التي ستواجهه وكيف يتخلص منها إن داخله بسبب لعنة الاكتئاب ويبدأ في البحث عن عمل فيعمل في احدي المكاتب الهندسية بأجر غير قليل ويعزم بعد ذلك علي التحضير في الكلية ويتقابل مع زميلة في إعدادي هندسة في نفس الكلية جميلة وقد وجد تلك الفتاة المؤمنة التي رقت إليه وأعادت له كثيراً من ثقته بالآخرين . وبعد أن كان يظن نفسه وحده مخلصاً في ذلك العالم الشارد . بدأ يجد بعد أن كلت عزيمته تلك الشعلة الموقدة التي تختفي خلف هذه العيون الساحرة وذلك الوجه المنير.

لقد بدأ يركن إلها . وينسي كل ما كان يدور في فكره قديماً والذي يضعه في ركن اللاشعور .

ويشتعل الفتي فكراً ويبدأ في بناء قصيدة لفكره وها هو الذي كان يعلم كل العلم ويصر أن هناك أموراً كان لابد منه. وخاصة عندما كان يتشاجر مع شيخ البلدة علي اللحية ذلك الرجل الموسوم بالفطرة والشيخ يعلم أنها سنة وكان يقول له يابني إن الدين ليس بالذي يشاد ألم تتذكر قول الرسول ﷺ" لن يشاد الدين أحد إلا غلبه" إن النبي ﷺ . لم يوطد هذه الأمور إلا بعد أن استقرت الدولة الإسلامية. وانظر إلي الخمر لقد حرمت علي مراحل وإن الدين ما كان أحكاماً تنفذ إنه عقيدة لابد أن ترسخ . فلربما وجد المنفذ لأحكام الذين وليس بينه وبين الدين قدر قطمير إيمان.وإن هناك

أولويات إن الدين يحتاج إلي صبغة عصرية يحتاج إلي فكر ثاقب وعقلاً واعياً. وينطلق الفتي في حمية وثورة. ويقول إن من يقول ذلك كافر محض. إن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان ويتذكر الفتي ما كان يسمعه من أفراد الجماعة إن حميتهم كانت تبعث غيرته وهو في مرحلة اندفاع العواطف لقد صار كتلة من العاطفة التي كان ربما آثار فيها ذرات الغبار بيد أن تغلغلها كان في فكره. فلم يعد بالمحافظ فأصبح فرداً طبيعياً وخاصة أنه وقد وجد كل المثيرات والمنشطات لهذه العاطفة وخاصة أن الشباب مثله علي نفس الوتيرة وهاهو يتذكر الذكريات وهو يشهق بعضاً من السلوي والعزاء علي نفسه ولكنه يقول لابد أن أتخطي تلك المرحلة حتي أعبر إلي مرحلة النضج هذه هي شاعرية الفتي . ثم إن الفتي أدرك أنه من النوع المتطلع إلي المستقبل كل ذلك جعله يعطي لنفسه العزاء فيما اتخذ من مذهب بيد أنه الآن أشد ثقلاً وأكثر استقراراً ولكنه أكثر عبئاً فكرياً وخاصة وقد استقبل قلبه من جديد ذلك الحب الذي أثقله من ناحية وشد قلقه واضطرابه من ناحية أخري لقد بدأ يدرك أهميته في الحياة وخاصة وأنه قد بدأ يعمل ويزيل عنه قلق الفراغ. وبدأ يعتمد علي نفسه وبدأ يستقر في أفكاره ولكن سرعان ما انجر وراء جماعة من أصحابه العاصين جروه إلي السهر وتدريجيا بدأ يدخن . ثم بدأ يسرف في التدخين أخذ الفتي ينجر . مع هذه المجموعة وهو يعود لأيام الصبا التي تفلت من بين يديه عبثاً أخذ يندمج في المجتمع من جديد . والفتي كأنه قد خرج من ظلمة مستديمة أو كأن الحياة أمامه بعد انقطاع كان يعتبر نفسه بعد هذا كأنه كان في مستشفي. ولكن رجله تنقل عن طريق الصواب أخذ يسير بركب هذه المجموعة ويتقابل الفتي مع طالب آخر بكلية الهندسة بالفرقة الأولي. كان الفتي يذهب ليقابل فتاته الطالبة وبأي حجة يخترعها وحيد يحضر في الكلية

ويتقابل مع زميله ذلك. البعض ينفر منه وذلك أن الفتي الذي كان شيخاً كان إنسان منحرفاً في نظر بعض الطلاب ٠

يجلس الفتي مع نفسه سبحان الله لقد دارت علي الدوائر وساعة كنت لا يعجبني الشاب الملتحي الذي يقصر ذقنه وها أنا يقول لي شاب ما كنت أوقع أن يكون له صلة بالدين إن مستواه الفكري والعقلي أدني مما يقول ويظن ولكن الحق أحق أن يتبع ٠

ويرضخ الفتي بكلام الزميل يتقابل الفتي مع زميلته تلك ولكنه تقابل سطحي لم يصل إلي مرحلة التعمق. لكنه ينال منها قسطاً وافراً من الراحة والأمل. ثم أنه لم يعقد بعد علي الزواج إن كل ما يدور بداخله هو كيفية الاستمتاع بالحياة ثم إنه لم يستطع بعد الاستقرار المادي.

يتدبلج الفتي مع إخوانه وأصحابه الذين يجرون رجله إلي طريق المخدرات . ولكن الفتي مع ذلك كان حذر جداً إن كان يتناول ذلك فإنما بحذر شديد. ولكي يرضي أصحابه إنه اندماج التجربة ولفرط احتياجه إلي أصحابه هؤلاء فقد اعتنق مذهبهم لأنه لم يعد يطيق الانضمام إلي تلك الجماعة التي امتصت رحيق حياته في فترة هي أزهي فترات عمره أيام الجامعة. وينطوي الفتي علي نفسه ثم يقلع عن المخدرات نهائياً بعزم وإصرار. ولكنه سرعان ما ينجر إلي طريق النساء. ولكن لا يمارس الرذيلة ولقد اكتفي بالمهاترات. وسرعان ما يحس بفرط ذنبه وشدة تحرجه من نفسه. وخاصة أنه قد استقرت حالته المادية ثم هاهو يجد أن أخواته البنات أصبحن في مقربة من الزواج دفعة واحدة وخاصة أن الفتي قد تماثل للشفاء من مرض الكبد . وذلك بعد مرحلة طويلة من العلاج والمحاولات. ويستمع دائماً إلي المذياع . ويسمع الفتي أن الجزائر قد أخذت في الثورة الدينية. وقامت هناك دولة إسلامية علي نمط إسلامي ولكنه سرعان ما تدخلت المخابرات اليهودية وقامت باغتيال الشخصيات القيادية علي أسلوب اغتيال العلماء

والمصلحين ، ثم قامت دولة بتمويل معادية سرياً الجماعات المضادة والمنحرفة وأصحاب المخدرات وأصحاب الحانات الذين لهم مصلحة في موقف التيار الإسلامي . وتكون القبضة في أيد التيار الخارج. وتعود الجزائر لحالتها . تثور ثائرة الفتي الداخلية هو يقول في نفسه من (لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ولكن دائماً ما يسأل نفسه وماذا أصنع أنا حيال هذه الأمة. إنني مهندس ولست بداعية. أو خطيب إن أي عمل خيري في نظري هو الهدية للإسلام يقول الفتي ذلك وهو يعلم أن واجبه أعظم ومسئولياته أكبر من أن تحصي ولكن ثورته وانفعالاته ليسا هما الوسيلة وخاصة وهو يدرك أنه الآن في مرحلة بناء وجداني وعقلي وعملي ثم بعد ذلك تكون المسئولية تجاه الوطن والدين وخاصة وإن كان صاحب عمل أو رسالة أما إذا كان تحت الضباب ويظن أنه بذلك يريد أن يخدم دينه فليس بجاد في ما يعزم عليه وينفرج كرب الفتي وتتزوج أخواته علي دفعات . ويصبح في مرحلة من الصفاء النفسي والاستقرار الداخلي الذي يفرغ فيه طاقاته كلها . لإثبات كيانه وإصلاح ما بداخله فيبدع في عمله. ثم يبدأ في التفرغ لإثبات مستواه العلمي. يحصل الفتي علي الماجستير ولكن بدرجة متوسطة يكمل الدكتوراه ويسير في التحضير وقد أصبحت زميلته تلك في السنة النهائية من كلية الهندسة وقد صارحها الفتي بما يكن لها إنه لم يعد يستغني عنها إنه يجد فيها سلواه وراحته وهو يجد فيها أزهار ذلك الأمل الذي ينتظره والفتاة لا تجيبه برد مقنع إنه لا يعجبها حاله إنها تعجب به بعقليته بذكائه الذي تلمسه فيه بشاعريته. بهدوئه بتفكيره ولكنها تخاف عليه تحاول أن توقظه يبدأ الفتي في الإحساس بالقنوط ولكنه سرعان ما يركز فكره علي إكمال شخصيته وتمام عقله ويبدأ في تهذيب وجدانه ويتجه إلي الفكر الديني ويبدأ الشاب في الثقافة الدينية ويقرأ كثيراً كان يأتي من عمله ومع كل يوم كتاب يقرؤه والشاب ولع بالقراءة.

إن محبوبته مثقفة ثقافة دينية واسعة ومع أنه كان مثقفاً أديباً ويزداد الفتي أدباً وثقافة دينية ويبدأ كأنه قد ولد من جديد ويتقدم للفتاة وبعد حين واستقرار وقد أكملت دراستها بكلية الهندسة يتم الزفاف والشاب يجد في زوجته كل يوم سداً لتياره الفكري إنها تدفعه إلي الفكر الواسع والتعمق الموجه ويبدأ مرحلة جديدة من الحياة ويصوب فكره إلي عالم آخر يعلم الشاب أن هذه المرحلة هي المرحلة القصوي لإتمام ما نقصه ولتحقيق ذلك المجد التليد. الذي يتمناه لقد بدأت تجتمع عنده مجموعه عالية من الثقافات إنه مهندس وشاعر ثم بدأ يتجه إلي الفكر الديني لم يكن يستشعر الفتي حلاوة الفكر الديني ولكن الذي كان يعوقه هو السن ثم ثورته الجامحة التي كانت تحرم ما أحل الله لقد ذابت ثورته داخل نفسه وقد دخل علي الثامنة والعشرين مكامن المراهقة والبلاهة الفكرية لقد بدأ يتجه إلي الدين ولكنه لم يكن يجرؤ بعد علي السياسة إنها لعنة يخاف منها وبدأت تتفجر عنده تلك الثقافة الدينية العالية.ولكن كان غير حذر علي نفسه إن كل شئ يصدر منه تلقائياً كان بعيداً عن وطأة الاضطهاد أو عن وطأة الغزو الفكري. وبدأ يعيد حساباته. ويسمع الفتي للمذياع دائماً وهو يسمع عن الأعوان المسلمين وحملات الاعتقالات عندهم والشاب يتأمل ما يحدث للأعوان إنهم أقل ضراوة من الجهاد أو الجماعة الإسلامية المسلمة إنها هي الفئة الوحيدة المعتدلة ولكن مطامعها السياسية تجعلها في حذر واسع وصراع دائم ربما أزري بها إلي أشياء خارجة والفتي حائر يارب ما هو الحل إن الدولة الإسلامية قد أثقلت بجماعات خارجة لكل جماعة مذهب وأهداف. ومنهج والمهم أنه ربما أدي انتشار جماعة إلي اضطهاد جماعة أخري إن الأنانية الفردية لن يكون فيها هذا الحل. إن الأمة تضطرب علي نفسها وأعداء الإسلام ينهشون في المسلمين إننا نحن الذي نترك لهم الفرصة. إننا عجينة لينة لتلك الجموع الكافرة . يتذكر الفتي حديث رسول الله ﷺ "تتداعي عليكم

الأمم يوم القيامة كما تتداعي الأكلة إلي قصعتها" والشاب مدرك أن ما حدث من تقسيم الوطن العربي علي أيدي الاستعمار لهو أكبر الدليل علي هذا الحديث ولكن الآن وقد تحرر العرب. وقد فجر الله بين أرجلهم آبار البترول وصاروا من أثرياء العالم وإن كانوا مع ذلك قلة مستضعفة يتحكم فيها الغرب ولكنه يقول في نفسه إن الطريق الآن أصبح في صف العرب من النواحي الاقتصادية . إن الفتي بفطرته يدرك أمور الاقتصاد والتغيرات الاقتصادية إنها فراسة المؤمن وليست فطنة علمية ثم إن ثقافته الواسعة جعلت منه مفكراً واسع الفكر وهو يدرك في قراره أن التحول صعب وأن رعاة الشاة وإن كانوا مسلمين لن يقدرون علي التحول إن القرآن موجود وهو وحده العاصم والحامي لهذه الأمة . فيه ترقي وهو سيفها الذي يئط علي أعدائها ورعبها الذي يدخل في نفوسهم وهو وحده الدافع للأعداء في الاضطهاد المسلمين ولولا القرآن لتساوت الأمة الإسلامية والصهيونية . وهو يقول إنهم أكثر منا حضارة وأكثر منا علماً إنهم يطبقون الإسلام ونحن غير مسلمين ثم يقول ولكن يجب أن لا تيأس الأمة إن هناك نوابغ من أبنائها والفتي يفكر ويخاف علي نفسه من الجنون. ولكنه لايجد بد من تفكيره وهو يقول إن الأمل معقود في وجه الله يتذكر الفتي قول الرسول ﷺ" إنه سيكون ملكاً إسلامياً ثم يأتي بعده ملكاً عضوضاً ثم يأتي بعده خلافة إسلامية ثم تأتي الخلافة الراشدة " ويعلم الفتي وقد علم قبل أن الخلافة الإسلامية هي الآتي دورها ولكن كيف لها ذلك هو يسمع عن الأحداث في بنجلاديش عن المضطهدين المسلمين في الهند والأقليات الأخري في أفغانستان عن المسلمين في أذريبجان ويلتقي الفتي بالشباب ويتكلم معهم في مثل هذه الأمور إن صفاءه الوجداني قد جسد له سبل الكلام والإقناع والتأمل في أحوال العالم ثم إن ثقافته التي لابأس بها بها جعلت عنده وسيلة قوية للتعامل مع ذوي الفكر لم يكن يقتنع الفتي بشباب عصره. إنهم متهورون

يجرون وراء الشعارات ويلهثون وراء الكلمات إنه ربما أودت بأحدهم كلمة فأودت بهم إلي صراعات ومذاهب لاحول لها ولا قوة ثم إن غالبيتهم يتمتم بمثل ذلك جرياً وراء طيش الشباب إنهم يحاولون إشباع غرائزهم الشبابية ومنهم من يفعل ذلك جرياً وراء فتاة أو إرضاء لمن هو أعلي منه أو تعالياً علي من هو دونه إن الشباب كانوا كذلك في جيله الدراسي القديم. لقد اقتنع الفتي بأن ذلك زيف زائل وعلي حين أبناء جيله من كان في مثل سنه أشد سوءاً قد أنهكوا في طيات الحياة ومشاغلها أنهمك هو في فكره وهواياته الفكرية. وتأملاته لم يعد يبالي بالمكسب المادي كثيراً فإن عنده كنز في عقله لو استغله لدر عليه كثيراً من الأموال إنه يتقن الشعر ولقد انساق وراء الكتابات الأدبية الأخري إنه يجد نفسه كل فترة يزداد ثقافة ورسوخاً في الأدب بجانب تأمله هو لم يعد يهتم كثيراً بالمال إن كل دوره أن يحيط كنزه هذا بغلاف من القوة والصون فسوف يعيد إليه ما فاته عن جيله من مال أو شرف أو متع الحياة هو لا يحب المتاجرة في الدين إنه ينظر إلي أولئك النفر الذين كانوا يصهلون بالهتافات لم يعودوا يسيرون في معمعة الشباب كما كانوا قديما أيام الصبا لأنهم يخافون من سلطان الأمن. وذلك بحجة الآن أنهم متزوجون وقبل ذلك كان الذي يشدهم إنما هي حميتهم ونزواتهم . لم يوجد إلا فئة نادرة كانت متعلقة جيداً بأمور دينها لم تكن بالثائرة ولا بالمتهورة ولكنها تخلص عملها لله رب العالمين هذه الفئة بحق هي الفئة التي تعاني وتكابد بسبب ما تلقي وما تنال من أشياء غريبة تلبسها شعار الحزن

والفتي يكثر من اتصاله بإخوانه المثقفين الأعلى منه سناً فهو بحق يستفيد منهم ولعل السبب الذي جعله يستفيد بعقلهم أن اتزانهم وكبت رغباتهم وفتورهم من الحياة جعل منهم مفكرين بالفطرة ولكنها فطرة سلبية تأتي بعد فوات الأوان وهو يعلم ذلك وقلما يجد عقلاً واعياً أو فكراً يثق فيه.

لم يعد يجد نفسه في الشعر والشعارات لقد مل تلك الوجدانيات المزيفة وبدأ في الفكر الديني البحت وبدأ يعمل علي تثقيف نفسه وثقلها بألوان الفنون الإسلامية فقد عزم علي أن يصبح عالماً في علوم الدين . وهو يتلقي بأبناء جيله ومع ذلك لم يعد يستفيد منهم إنه قد وجد في الرعيل الثاني رثاء لانهيار صرح الثقافة ، كان يجلس مع نفسه وهاهو يقول إن انهيار الإسلام قد بني ثقافة جديدة وفكراً جديداً ولم يجد واحداً أو اثنين لقد وجد جنوداً يعتز بهم وبفكرهم. قال حقاً سوف تقوم الخلافة الإسلامية وبدأ يقدر لها وهو لا يعلم مداها ولكنه يقول إن هذا الجيل الذي في عصرنا سوف يحمل من صلبه أبناء هم البناة الحقيقيين للدعوة الإسلامية كل ذلك يدور في نفسه حتي ألم الفتي بقدر عميق من الفكر والثقافة اتخذها زاداً في أي مكان يذهب إليه إنه يقول إن الثقافة هي خير صاحب يرافقك وينسي الفتي محبوبته . وتغير من فكره وها هي قد أنجبت وصارت أماً ولكنه لايمكن أن يقتلعها من فكرة لأنها هي التي غيرته ولكنه يعمد إلي النسيان حتي لايتعب وقد فاق الثلاثين.وهو بعد يلتقي بفتاة بكلية الطب رائعة الذكاء هادئة الطباع يلتقي معها وكأنهما علي موعد . وتوافق في الفكر والروح وتوافق في الانفعالات إنه يحس نحوها بالراحة لإقامة الحياة الزوجية كأنما وجد ضالته المنشودة.وجد النصف الذي يسكن إليه ويتم الزواج في حالة من السرعة ويتجه الفتي المهندس إلي التأليف في المجال الديني ويصدر كتابه الأول عن الجماعات الإسلامية ، كيانها . أفكارها ومذاهبها. لقد أدخل جانباً لم يسبقه إليه غيره هو جانب التنبؤ لكل فرقة وتداخل الفرق هو كتاب فريد هادف فجر أمام المنطقة كلها تلك الجماعات وما آلت إليه وكشف حقائق كل فرقة بأسلوب مهذب إنه يضغط علي الأوجاع وتساعده زوجته المتدينة المثقفة ثقافة دينية علي التأليف وتأتي إليه بالمصادر وثمة يحضر الشاب الدكتوراه وتزداد ثروته شيئاً معقولاً فينتقل إلي منطقة ذات

رقي ولكنه يجد الطرق أمامه متاحة للكتابة أكثر من الحال الأول. الأشخاص المحيطون به متحررون لقد علم الشاب المفكر أن هناك عوامل تساعد علي التخلف أو التقوقع الفكري ذلك بسبب الفقر. لم يعد يجد ذلك في حياته. يذهب إلي تلك التجمعات القديمة ليعيش فيها فترة ويجد فارقا وهوة شائعة وعلم أن هناك ضغوط اجتماعية . إن هذه الفئات تفعل ذلك ردا للفقر. علم أن أكثرهم لا يبالون بأى شىء إنما هى أهواء مثل قوم يشجعون الكرة وليس لهم فيها قدر قطمير من الهواية ويحضر الفتى المؤتمرات الدينية والمسابقات وهو يحصل على جوائز عدة في التأليف إنها جوائز قيمة في مسابقات متميزة ويدخل الشاب مجالات عدة عنه يعيش مرحلة العبقرية الفكرية في تلك المرحلة يتجه إلى كل مجالات الفنون والآداب والثقافات الدينية ويعكف على البحث والاطلاع لم يغد يشغله شاغل أو ينال فكرته نائل يتناول قضية القدس مرة مع أحد الأصدقاء وهو يتنهد وقد أدرك القضية في فكره المستنير ويقول لقد أنزل الله في كتابه ما يوحى بأن القدس سوف تتحرر على أيدي المسلمين حيث قال في سورة الإسراء" وقضينا إلي بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا *فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شد يد فجا سوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ويجادله الرجل فيرد عليه بقوله ﷺ(يفتح بيت المقدس خيار الناس (وقوله ﷺ(لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلم اليهودي)ويعلم الشاب أن الخلافة الإسلامية لابد قادمة وان المسلم سوف ينتصر ولكنه قد تحوصل فكره .كيف السبيل ؟ كيف يأتي التحرير عن طريق أولئك النفر الفارغ الذهن النرجسيون إن المنابر تمتلئ بهم وهو أقوام لاتصل ألسنتهم إلي أفئدتهم مفتونة قلوبهم . لقد كثروا وزادوا ومن تنحي عن هذا العمل هم المخلصون فقط. إنه يصنف الناس في نظره إلي أصناف كثيرة فإن رجال الدين هم المنافقون وأصحاب الأعمال هم الأفاكون وأصحاب السلطات هم

السارقون وأصحاب الإبداع الانتهازيون . ثم إن هناك الفئة المتواضعة فإما أنها كادحة أو أنها متدنية الوضع أو فئات نادراً ما تكون مخلصة إن الإخلاص أصبح شيئاً مدفوناً هكذا رأي الشاب ذلك في وجوه الناس في نظراتهم وأفعالهم نادراً لا يوجد المخلص الحقيقي ،الإخلاص هو سمة الحضارة ولولاه لانهارت الأمة بأكملها ولو بعد قليل ويلاحظ الفتي علي أعدائه القوة والبطش. وقد قتلوا علماء المسلمين المتخصصين في المجالات المفيدة مثل الذرة أمثال يحيي المشد وسميرة موسي حيث قتلوا كثيراً من العلماء والنوابغ الذين كان يمكن أن يكون فيهم أمل للخلافة الراشدة هكذا رأي الفتي ولكنه يعلم أن حال المسلمين الآن أفضل من ذي قبل . إن المخابرات الإسرائيلية التي تعد أقوي مخابرات في العالم من ما تملك من جهد السيطرة وسريان المفعول تغلق الآمال علي أي عمل يفيد الإسلام إما اقتصادياً أو إعلامياً ثم إنها تنفق الأموال الطائلة في التمكن من بعض القيادات ودس العملاء بأغلي الأموال . ولكن الرجل لايزال يعلم أن الخلافة قادمة وأن اليهود بقوتهم هذه سوف يلفون حول أعناقهم حبال الهلاك حيث أن العوامل الآن تسير في صالحهم ولم يكن للعرب قوة قبل ذلك. ولكنها ستنجلي ألاعيب اليهود واليهود مهما كانوا لا يقدرون علي كبت جماحهم العدواني وسوف تنهار قوتهم تضطرب الأمور حتي يقتل المسلم اليهودي واليهود بدون أي أسلحة . هل انعدمت الرشاشات مثلاً عندهم. ويظل يتساءل ولكنه يهتدي إلي أن الصراعات ستكون داخل المدن وسوف تحدث المجاعات أو الصدمات لدرجة أن كل واحد ينسي آلته ويرجع الشاب يتساءل ويقول دعنا من هذه الأوقات المهم قبلها ماذا سيكون إن أمريكا واليابان والصين وبلاد أوروبا هي أعظم دول العالم سلاحاً واقتصاداً وإنتاجاً إنه حتي لو وجدت دولة وحيدة في دول المشرق فلن تكفي لقيام الخلافة الإسلامية ،

إن الاتحاد بين المسلمين هو أساس الانتصار ولكنه سرعان ما يقول إن الطريق الآن يصير لصالح الدول الإسلامية . يتذكر الحال السابقة حال الدولة العثمانية وكيف دمرت الحضارة الإسلامية وطمست معالمها غير أن الأزهر كان هو الشمعة المضيئة التي أشعلت للعالم منهجه الإسلامي وكيف تحول عصر المماليك إلي أفضل نسبياً .

ويجلس الرجل مع زوجته الطبيبة التي تعطيه وابلاً من الأفكار وتبوح إليه بأفضل الأوتار الفكرية ثم هي تمهد له الطريق الواضح في التفكير معه ، غير أن هدفه الأسمى لا يستطيع أن يبوح به وإلا قيل عنه أنه مجنون . إن الذي يتكلم في زمان اندثرت فيه القيم عند المسلمين أنفسهم عن الخلافة الراشدة هو بحق مجنون ثم كيف يتكلم وقد ضاعت القيم وطمست الأمانات هذا الزمان الذي يري الرجل قبر أخيه يقول ياليتني كنت مكانه ويقضي الرجل أوقاتا كثيرة في الإطلاع وهو ينظر إلي علامات الساعة وأشراطها ومنها انتشار الفتن وكثرة الفسوق وهي تلك العلامات الصغرى والرجل دائماً في حيرة من أمره وفي كبوة من عنائه ثائر لا يهتدي لخيط إلا جره ذلك إلي واد من الفكر .

ويرزق بابن فيسميه " عبد الرحمن" يتبارك بذلك الاسم.

يستمر الرجل في الدكتوراه ويحصل عليها وعمر ابنه أربع سنوات وأصبح الرجل في الثامنة والثلاثين من عمره ويظل الرجل محيراً بين الأدب والعمل بالكلية ولكنه سرعان ما يختار العمل بالكلية لأنه يعلم أن ذلك هو الطريق الأمثل لفتح الآفاق للعلم ويتفرغ الرجل تماماً للكلية وينسي برهة من الزمن تلك الأقاصيص التي تدور بدائرته الفكرية ويشغل نفسه بالرحلات الداخلية للكلية ويكون فيها مشرفاً علي أنشطة الطلاب ويستعيد الرجل فيها أيام نشاطه الأولي ومع ذلك فهو لاينسي جراح المعتقلات وما لاقي فيها . ويتقابل الدكتور مع طلاب كانوا علي نفس وتيرته أثناء الشباب ولكنه كان

يجلس معهم تارة ينصحهم وتارة أخري يتركهم لأنه يعلم بأنه لابد لهم من التجربة بأنفسهم.
ويتذكر أيام فتوته فيرسل إلي نفسه العبرة والحزن وينشر كتابه الجديد عن الفكر الإسلامي ويطلب الطلاب من دكتورهم المفكر أن يحاضر عن موضوع الكتاب الذي يدور عن واقع الحاضر الإسلامي وينطلق لسانه الشاعر البليغ ليبين لهم أن المسلمين في عام سنة هجرية كانوا لا يزيدون عن سبعة الآف وفي عام ثمانية أصبحوا أكثر من ثلاثين ألفاً هذه هي قوة الإسلام إن المسلمين الآن لا يقدمون ولا يؤخرون ولكن زمام الأمر الآن يسير في التقدم المستمر سوف يمحق معالم الكفر لأن بريقه سيظهر رغماً عن الكافرين ، إن الإسلام إنه سوف لا ينتشر من تلك البلاد إلي غيرها إنه سوف ينتشر بوسائل الإعلام الكفر فسوف يزهق الكفر بين أهل تلك الملل وسوف يجد أعداء الإسلام في سماحته ما يصدهم عن النيل منه لقد وجدت دول أسلمت بعض ولاياتها مثل الاتحاد السوفيتي الذي تحولت منه بعض الجمهوريات إلي جمهوريات إسلامية وكانت سبباً في انهيار الاتحاد السوفيتي ثم إن الكفر سوف يودي بأهله إلي الهاوية إن هناك دولاً مثل روسيا دمرتها الشيوعية وهاهي أمريكا سوف تدمر كيانها بسبب الانحلال الخلقي والفجوات الإنسانية والطبقات المتفاوتة الدرجات والجنسيات المتصارعة يظل الرجل يفكر ومع ذلك فهو غير عابئ بفكره ويقول يجب أن أكون قد اجتزت تلك المرحلة تبدأ هناك حول الشيخ صراعات طائفية فيرجع إلي شعره وهاهو يزجر قصيدة يقول فيها.

ياشموع الفضل طوفي	واقشعي عنا الظلام
أينما كنت فإنا	نقتني منك الوئام
قد رأينا في شاكي	خير أشعار السلام
ومشنا فاحتسيينا	في دجي الدهر التمام
يا شموعاً أين غبتي	هل قلي الفضل صباكي

وانتشي الكفر فأضني ... في الدياجير سناكي
أوقدي الدنيا صفاءاً ... لست مقتاتاً سواكي
ليس في الإنصاف إلا ... عودة بعد الشتات
شرعة تجلو الخطايا ... وتصد العاديات
كم سمدنا في اغتراب ... هل تعود الذكريات
هل يري النور رعيل ... ضل أطوار الثبات
لن يعيد الفضل إلا ... فارس ندب يراع
هذه الشمس توارث ... خلف أسراب الخداع
واعتراها فغواها ... أهل حقد وابتداع
يقطن الفأل ضلوعي ... قد حبا لمح الأمل
سائل رباً كريماً ... غير راد من سأل
حسبنا أنا نداوي ... بالنقوص المكتمل
يهدم الفرقان سداً ... خلف أحداق الزمن
كم جراح لن تداوي ... في غيابات الحزن

وهاهو يلقي القصيدة الطويلة في مؤتمر شعري ومع أنها لا تحمل إلا القليل من الثورة الدينية إلا أنه يساق إلي المعتقل ظلماً ويتعنت الرجل ويصاب بالعناء وهو يقول إنه ليس قي قصيدته أي تحريض أو عدوانية أو إرهاب فيعلم أن منصبه الآن أصبح في موقف حرج إنه دكتور جامعي فيجب عليه أن يتحكم في كل كلمة وإلا حسبت عليه أنفاسه ويفطن الرجل للموقف وهاهو يفكر فيما يصنع تجاه تلك المظلمة فيركن إلي قلوب أولئك النفر الذين يكيدون له فربما كان هناك من يحقد عليه من أقرانه أو من ما فاتتهم فرص الحياة وأغلقت دونهم الأبواب.

الغريب أنه لم يكن يقارن إطلاقاً بينه وبين أحد من أبناء جيله أومن دونه في السن لايفكر في المقارنة إطلاقاً إنه أكبر من ذلك ولذلك لايكيد لأحد . ولكن دماثة خلق الرجل وعدم تكلفه مع الآخرين ربما محاولة إقناعهم أو محبة الخير لهم كان سبباً أن تلك الفئة الدنيئة

قد طمعت فيه وست له الفتن التي أردت به إلي السجن ويفطن الرجل إلي أن هناك نفوسا مريضة فيتعلم منها الحذر ولات ساعة مندم.

ويظل هكذا وهو رابض بين جدران السجن محطم العزم منهار الهمة ولكن سرعان ما ينبعث فيه الأمل وتنبعث لديه العزائم علي أن ينافق الناس ويجاملهم ويتعلم كيف يضحك عليهم وها هو يرسل قصيدته التي بعنوان بنو كيد لتنشر في احدي الجرائد الرسمية ويقول فيها ٠

بنو كيد لكم طال العـــداء	وكم فارت بأنفسي الدماء
ودارت في منازلنا ســـقام	فتهلكنا وليس لها دواء
تموج بنبضي الأكدار حتي	تملك من مسالكها العياء
تـربعتم علي الأحلام طورا	وما في منية الجهل الرخاء
دعوني قد نأي الخلان عني	وتاهت عن مسالكي العــلاء
أزيحوا مقلة الأحزان عني	أريحوني وفي البعد الصفاء
فإن كان البعاد إلي مـــرا	ففي طلب الوصال لكم عداء
تملكتم مساء الخنع فاسعوا	علي مهل إذا خاب المســـاء

وتنقلب الآراء ضده ولكنها لم تكن آراء الوسط السياسي لقد ظن أن الرجل قد تاب من إجرامه السياسي وهو يعلم ذلك ٠ وقد تملك من زمام تلك النفوس وتعرف كيف يصل إلي أحاسيسها وكيف يسيطر علي وجدانها ، وأن سلاح شعره هذا قد أصبح وضعه في المجتمع بمثابة آلة يحرك بها علي مسرح العرائس تلك النفوس تجاهه فربما جعلها تحبه وربما جعلها تبغضه ، ثم بدأ الرجل يغير من أسلوبه تجاه الذين يعايشونه في المعتقل ولأصبحت كل معاملاته من النوع الغير مألوف ، لم يعد أحد يفهمه ٠ ومع أنه كان

من الصعب جدا الاتصال بينه وبين أحد من ذويه إلا أن ذلك أصبح لديه الآن من اليسير وها هو يرسل مع زوجته التي سمح لها بزيارته تلك القصيدة لتنشر يقول فيها

يا أيها الصقر الطموح الجائز الدرب العسير

متوكل بالله تسـر بحيث ينهي لا تسير

الأرض بيت حـــافظ والرهط حولك يستشير

أنت الولي ولم يكن لسواك ينقاد المصير

قل لي بربك كيف جزت بفضله سوط الهجير

إني بنورك أشـــتفي من دربك الماء النمير

قبطان أمرك حكمة بنجاحك الدنيا تسير

يا قائدا شعب الكنانة عش إذا بين الضمير

ويستمر الرجل في معتقله فترة يسيرة وسرعان ما تنفرج أزمته ويفرج عنه وقد يئس من مجتمعه الذي ينخدع بالشعارات وأيقن أن سبب هزائمنا المتكررة وراء المظاهر وانخداعنا في أي عمل دون النظر إلي فحواه أو ماهيته،

ويظل هكذا وهو رابض بين جدران السجن محطم العزم منهار الهمة ولكن سرعان ما ينبعث فيه الأمل وتنبعث لديه العزائم

ويخرج الرجل من معتقله وقد علم بصعوبة المسار وأن هذا المجتمع كثر فيه الحانقون وتزيد فيه الأحقاد لمن يبغي الوصول ومن الصعب أن يصل إلي غايته مهما كانت نبيلة. إنه كبرياء الحاقدين إذا سري في بلدة دمرها هكذا نحن المعاصرون لا نعرف أنه إذا تمكن أحدنا فسوف يكون فيه الخير للجميع قبل صاحبه . ولكن الجهل الديني وعدم إدراك خطر حال المسلمين لهو الزاجر والمانع لهم . وقد غاب الوعي من النفوس. ولكن الفتي مصر علي

ذلك لكي يجاري الأمور ولكنه لم يتعود علي ذلك من قبل ولم يتعود علي النفاق، ويقول لنفسه وهو مؤمن بكلامه .لابد أن تسايس أمورك إن طبع السذاجة التي كنت فيها أمر خطير وعلي حد القول اتق شر من أحسنت إليه إنك تعيش وسط عالم من الذئاب مع أنه كل همك إفادة الآخرين ويتحجر قلب الرجل ويساير عصره يرزق بابنه جديدة يسميها هدي الإسلام يتعلق قلبه أكثر بأولاده لم يعد يفكر في الآخرين إنه إسلامي الفطرة والصنع والقلب والقالب ولكنه يائس من قوم يكيدون لإنسان يسير في حاله دون إيذاء أحد ، فما باله إذا أخطأ والناس معرضون للأخطاء . ولكنه يقول كما قال "الخير في وفي أمتى إلى يوم القيامة ". إن هناك أقواما فيهم الخير وما عليك ألا أن لا تكرم إلا من يستحق الإكرام حد قول الشاعر .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ويتفرغ الرجل بكل طاقته للكتابة الإسلامية والأدبية وهنا يحصل مرة على جائزة الدولة التشجيعية ثم جائزة الدولة التقديرية وفى العام التالى يحصل علي جائزة الملك فيصل العالمية وقد تجاوز النيف والأربعين وهكذا يسد الرجل من نرجسيته التي انغمس فيها بإرادته ولكنه يكتسب ثقافة جديدة وفكراً أكثر ويجلس الرجل بينه وبين نفسه وهو يقول إن مشاكل العالم الإسلامي أصبحت الآن ثقافية بحتة وذلك أننا قد غزينا من كل جانب ومع ذلك لا يحب الرجل أن يبوح بتلك الكلمات علي حد قول الشاعر .

لقد أسمعت لو ناديت ولكن لاحياة لمن تنادي

إن الأمم العربية قد وقفت علي أرجلها وأصبحت ذات مصانع وشركات وأن هناك دولاً قد جمعت القنبلة الذرية ومع أن العراق كانت رابع قوة السلاح في العالم وإيران بعدها إلا أنها أغلقت علي نفسها الأبواب وبدأت تدمر في جيرانها وانتهي حالها إلي احتلال أمريكا لها وتدميرها وتدمير قوتها. والمسلمون في باكستان التي

امتلكت القوة النووية قوة متفرقة . وأفغانستان التي ساعدتها والجماعات الإسلامية من كل أقطار العالم ها هي قد انقلبت علي أعقابها وأصبحت قنبلة تدمر في أحشائها والعجب العجاب كيف لمثل هذه الدولة التي قامت عرانين الكفر وأظهرت الكرامات أن تظهر فتناً طائفية أليس فيهم رجل رشيد . ويعلم الرجل أن الغرب قد أقحم نفسه في ذلك ثم هو بعد ذلك له عملاء مجندون للفتن والفساد.ثم الحرب الضروس التي استمرت بين العراق وإيران أربعة عشر عاماً متوالية خسرت فيها البلدان الكثير من العدة والعتاد. ويتذكر الرجل الحرب المشتركة بين دول العالم لكي تنال لحم العراق مسلمة التي كان يمكن أن تكون حراً علي أعدائها ولكن أين العقول أو القلوب الواعية هكذا حزن الرجل وهو يقول

متي يكمل البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ولكن أيقن الرجل أن الثورة لايمكن أن تكون من فرد واحد ولا دولة واحدة فأي عالم له مساران إما القتل وإما أن يتخذه الغرب ليفيدهم ويزيد ثروتهم ونحن هنا نصفق ونرحب بأنه من مصر أو عربي فإذا أراد الرجوع فإما أن يكون قد استهلك عقله فلن يعود بأي نفع ويأتي ليموت بين أهله وأحبابه أهكذا كانت بلدتنا مدفناً لمن أراد أن يموت ثم أن جل العلماء المصريين خارجها يقضون وقت الإفادة منهم في المجالات المختلفة وقت العطاء ويأتون هنا ليقضون أيام رمضان والإجازات الصيفية والرجل يتنغص ولكنه يقول صبراً فربما نشروا الفكر الإسلامي إن هؤلاء الرجال العلماء سوف يكون منهم نواة المستقبل ليكونوا الدعاة بدون قصد إلي الإسلام. وقد أعجب الرجل السلوك التطوري الذي قامت به الجماعات الإسلامية المتحضرة مثل جماعة أنصار السنة وجماعة الإخوان إنهم يرسلون دعاة متخصصين أطباء ومهندسين ومثقفين بشتي الثقافات إلي تلك البلاد الأجنبية من أجل نشر دين الله ما أعظم هذه الجماعات وعلي حد قوله ﷺ (يقول فيما معناه(يقوم

الإسلام علي البر والفاجر). إن الجماعات سوف تؤت أكلها وإن كانت عضواً متناحراً فسوف يخرج من أنقاضها أفراداً كانوا أهلاً للأمانة وسوف يحملون لواء الإسلام سوف تتولد من تلك الشرارة وهذه الصدمات بداية الصحوة الكبرى التي سوف تقوم علي أنقاض الجهل والتسرع ولكن يسأل الرجل نفسه ما مشكلة هؤلاء إن الرجل العبقري المخلص بحق في هذه البلدة وهذا الزمان إما أن يهرب أو يجن أو يمرض أو تثقله أعباء الحياة الدنيا أما البقية البواقي فإن الجهل يحفهم والتسرع والحماقة تنوء بأكتافهم ولكن.

علي قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي علي قدر الكرام المكارم

ثم إن الرجل يلمس في البلدة التقدم الملحوظ والرقي المطلوب وإن هذه الأمور لهي مقدمات لانقشاع غياهب الكفر وإن هؤلاء الذين يكيدون للإسلام ويدبرون له قد بدؤوا ينشغلون بأنفسهم وانهياراتهم وهاهم يرجع كثير منهم إلي فطرته الإسلامية ويسلم لله رب العالمين.

مرحلة الانسـجام

وتمر الأيام والرجل يراقب الحال الإسلامية وها هي العراق بلد النفاق قديماً وبلد الشقاق والتمرد . كما قل الحجاج وزياد بن أبيه أصبحت مصدر إلهام العلماء والأدباء فصارت كما كانت في الدولة العباسية عروس المدن الإسلامية ومحط العلماء والقاصدين وها هي تفتح أبوابها وتستقر بها الأحوال الاقتصادية والثقافية وإن كانت كما هي فإن مصلحة إسرائيل والدول المعادية أن تظل العراق مدمرة. ولكنها أصبحت الآن في محط الأنظار ومطمع العيون وخاصة وأن العالم الإسلامي أصبح ذو قوة وذا سلطان . وينشغل الرجل بعلمه وقراءته . ويصدر كتابات سياسية لأول مرة ولم يكن الرجل يهتم بالسياسة وكان قد بدأ يتناساها ولكنه قد انفلت زمام

فكره وانسابت منه النبضات . لكي يتنفس تلك العبقريات التي كان يكتمها بين جوانحه ويعجب الجميع بأفكاره التي فاقت أعمال المتخصصين ويذهلون بكتاباته التي فاقت الخيال. لم يكن يدرون أن تلك العقلية . لابد أن وراءها كنز مدفون هكذا قال الرجل في نفسه وخاصة بعدما كان في معتقله إن داخله كنز لابد أن يخرج ولكن المجتمع لن يسمح له وخاصة وقد تنبأ الرجل إلي ظروف المجتمع ثم هو العبق السني. وذلك أن الأفكار قد تحوصلت في عقله وتجلت في خياله والرجل يسترجع الذكريات وهاهو يبدأ الرجل في الاهتمام بالشعر والآداب والفنون ويستعيد ذكرياته الدفينة ويخرج بالكثير من الفنون الجميلة ويمارس الرجل الرسم التشكيلي لأول مرة وهاهو قد تجاوز الخامسة الأربعين قد عين نائب لوزير الثقافة . تكريماً لجهوده وحفاوة لأعماله . ويفرح الرجل جداً بذلك التعيين الجديد وهاهو ينشط من رقاد يستريح من إنتاجه الفكري ويتجه إلي إنتاجه الذهني والعقلي وبدأ يغير مجري الثقافات بدأ الرجل يعي

أنه الآن قد بعث من جديد لقد تجرد من كل شئ وأخذ يمارس هوايته المفضلة . وأخذ يبعث في الأمة أمالها المأمولة وينخر في عظام الغزو الثقافي . ويوقظ العيون إلي مكانه ويسلط عليه الأضواء ولكنه يملك الأسلوب الحاد والذي كان علي أمثال أسلوب الجاحظ وذكي مبارك الذي يتكلم وينال ما يريد من خلال السطور وهاهو يستحوذ علي مجامع ومقاليد ما يقول . لم يكن كلام الرجل خلال مقالاته اللاذعة أو عباراته القوية المجردة من العواطف في ظاهرها والسهلة الممتعة . إلا بمثابة إثارة العقول الراكدة والقلوب التي غطاها الصدأ وهكذا استمر في مقالاته ٠

ويتقابل مع أديب أجنبي في مؤتمر الوزراء الثقافي ويقول له بأنه يفكره بعميد الأدب العربي طه حسين"الذي أبدع وأدخل الجديد ووصل إلي ما يريد من بين سطوره ودون أن يؤذي أحداً مباشرة. ولكن الرجل يقول له إن الفرق الوحيد بيني وبين طه حسين أنه

كان متطبعاً بالثقافية الأجنبية وأنه لم يكن رجال دينيا بالمرة إلا بالقدر الذي يحتاج إلي الثقافة وكانت عاهته هي السبب في أدبه وقد عادت بخير عائد ، أما أنا فإن همتي كانت في انشغالاتي الدينية لقد ذقت المرار من أجلها من أبناء المجتمع ومن صدمات الفكر. ولكنها الآن ولله الحمد فإن الأمة المسلمة الآن في أوج عظمتها ثم إن زماني في نهاية زمان الفساد وبداية التحرر. فكان بمكانة نعت المكروب وأهات الموجوع يقول ما يشاء ويلفظ ما يريد .
ولكن مسئوليتنا في هذا الجيل جسيمة إن مسئوليته البناء بناء المجتمع فكرياً لمن أعظم المسئوليات بل ربما كانت أخطرها ويقضي الرجل أيامه في إصدار الكتب التي كان يكتمها بين أنفاسه والتي كان يردها إليه أصحاب الفكر المكبوت والعقل المحدود من الناشرين أيام شبابه، أما الآن فهم يطلبون منه أعماله الدينية مراجع ذات أصل وحاجة إليها يقبل عليها من غالبية المجتمع الشباب لأنها تبين لهم كثيراً من أمر دينهم. ويصدر الرجل كتابه في الفلسفة وعنوانه "بين الدين والمجتمع" هو قد حاكي في كتابه القدامي ولكنه أضاف لمساته الفكرية الفذة التي أوضحت للناس بعضاً من المعالم وقد اقتحم الرجل كل مجالات الفكر من شعر وقصة ورواية وعلم اجتماع ولكنه علي فترات متتالية لم يكن يهتم بتلك المجالات دفعة واحدة. يبرز في خيال الرجل تيارات فكرية كأنها سيل عارم لم يدر أولها من آخرها. وتنهال عليه الاضطهادات ولكنه وقد ترك نفسه للتيار لم يعد يخاف فهو في وضع يحميه ومنصب يرفعه ثم إن عقله قد استوي وفكره قد نضج فلم يبالي هو يعلم أن الشئ الجديد تقابله العواصف والزعابيب ولكنها سرعان ما تتلاشي. ويصبح الرجل في صراعات شتي وهكذا يزجر قصيدته التي فيها . عن نفسه.

أبي كل عون لترياقه — وشق السبيل لإرهاقه
وأمددت أيدي فأدني بها — ولاذ بحبل إلي الكاره

عزيز فذلت به شدة أبي ولكن علي نفسه
وكم عانق النفس منه الجفي فأرثيه حسبي علي حاله
وإن قال جفت بقلبي الدماء لأنقذت قلبي لشريانه
وإن أن يوماً وإن ما شكا يضج الجميع لأناته
ومالي ومالك إلا كريم وما كنت أيأس من روحه

وهكذا تنال الرجل الأمراض وتثب عليه الحيل والأوهان وتشب عليه الحيل والأفكار ويصاب بالإحباط ولكنه دائماً ما كان يري النور من خلال التطور الذي كان يراه.

إن المجتمع صار عنده وعي إسلامي اللهم إلا بعض الفئات العلمانية التي انطبع عليها فكر الضلال ولكنها علي أي حال كانت ذات طابع ديني. ويتدرج الرجل في منصبه ليصبح وزيراً للثقافة . ويقل إنتاجه الفكري ولكن تزداد أنشطته واتجاهاته وندواته. ولكنه يجد هناك تحجراً كبيراً في بعض النفوس لا تقبل أي تعديل هكذا أيقن الرجل في قرارة نفسه أن الطريق صعب وأن التدرج الثقافي أو الرقي الثقافي سيصبح من المستحيل في أيام معدودات ولكنه دائماً ما كان يسعي ويفعل ما في وسعه فقط ، وثمت وقد تخطي الرجل الخمسين وهو في معمعة الفكر وريعان الإنتاج فيمل من تلك الحياة ويستقيل من وزاراته ثم هو يذهب ليقضي تلك الفترة في إنجلترا ويظل فيها فترة طويلة ويحاول التدريس في احدي جامعاتها. وسرعان ما يعمل فهو دكتور مهندس وقد حصل علي الأستاذية. ويستمر الرجل فيها فترات طويلة يستمتع فيها بثبات الفكر علي وتيرة واحدة فهو يريد أن يصرف عن أفكاره أفكار تلك الفترات ويبعد عن نفسه تلك الجولات ويستمتع بإنجلترا وبعده ووحدته . ثم يحن إلي أصله فما يبرح يبدأ في دعوته الإسلامية ونشر عبق الثقافة الإسلامية.

ويرسل الرجل لزوجته وأولاده الثلاثة ليقيموا معه حيث استقرت به الأحوال ويكملون دراستهم في إنجلترا ويصبح ولديه " عبد الله وعبد الرحمن " طبيبان بارعان وابنته تصبح معيدة بكلية السياسة والاقتصاد. وهكذا يستقر الرجل في بلدته هذه ويصبح هو وأسرته أسرة دعوة ويدخل الناس أفواجاً في دين الله والسبب ذلك الرجل وأسرته الداعية إلي الله بأسلوب حسن وسمح وهكذا يجد الرجل في هذه المنطقة مالا يجده في بلدته ولم يكن وحده ولكن كان هناك المسلمون المهرة الحاذقون اللذين يدعون إلي الله علي بصيرة وأصبح ثلث إنجلترا مسلمين والباقي علي وشك المعرفة بدين الله وهكذا أصبحت هناك دولة إسلامية كبيرة بين دول العالم والسبب أن هناك بعض المخلصين من العلماء والدعاة المسلمين اللذين كرسوا حياتهم لتوضيح المعالم الإسلامية وبذلوا أوقاتهم لنشر الدعوة وتنفجر صحوة إسلامية في كل البلدان والرجل سعيد وتزداد ضراوة الحقد والشر ضد المسلمين . وتزداد الاغتيالات ضد الدعاة الإسلاميين ويعلم الرجل بذلك ويعلم أنه مستهدف . ويقول في نفسه لقد أديت ولله الحمد الذي تمنيت عمله . وهكذا يفر بدينه وأسرته إلي المدينة المنورة والتي يفر فيها كثير من الدعاة حيث هي البلدة التي لا يدخلها مشرك ولا كافر هي والبلد الحرام ، والحمد لله لقد أصبحت نعمة عظمي تلك المدينة التي تنفي خبثها وتنفي الأشرار منها . وتبدأ الدولة الإسلامية في الازدياد والغريب أن أعداء الإسلام كانوا بما يقدمون من أدلة ضده وبراهين ضد أرائه ونظمه أصبحت تلك الأدلة في وجههم بما يتماشي مع روح العصر وهذا بفضل أولئك النفر المسلمين النوابغ الذي فصلوا وأجملوا في الفكر الإسلامي واللذين جاهدوا في سبيل الله بأقلامهم وتركوا زخرف الحياة الدنيا وقد آتت أقلامهم ثمارها وأينعت آراؤهم ومن بعدها قد دخل الناس أفواجاً في دين الله واتجه الجميع إلي ذلك النبراس القويم ولم يبقي إلا بعض النفر القليل الجاحدين الذين تأكد الكفر من

قلوبهم وأنهم لامحالة يموتون علي الكفر أولئك الذين لم يصلهم الإسلام . ومع ذلك لم يزد عدد المسلمين في العالم عن نصف عدد السكان إلا بنسبة ضئيلة. ولكن المسلمين لم يعودوا غثاءاً كغثاء السيل. كما قال الرسول ﷺ" تتداعي عليكم الأمم كما تتداعي الأكلة إلي قصعتها فقيل أومن قلة نحن يا رسول الله قال " ولكنكم غثاء كغثاء السيل " وقد انتهت هذه الفترة التي يقصدها النبي صلي الله عليه وسلم وهنا وقد بدأ المسلمون يفيقون حيث قد تصارع قديماً عليهم المستعمر لتقسيمهم إلي دويلات ولكنهم الآن يمثلون قوة في السلاح وقوة في الفكر مع عظم الزعماء الأقوياء الذين كانت تربيتهم سليمة وقوية و تربوا علي أسس ومنهج وكان قبل غير ذلك حيث أنه لا يمكن أن تنبت الظروف السابقة قائداً مصلحاً. لأنه لو كان كذلك فإما أن يتنحي عن الأمر أو يقال من منصبه ولكنه الآن وقد انطلق في ساحة المسلمين الأكفاء فصاروا أولي بالزعامة وأحق بالولاية. وقد طالبوا بها لينالوا بذلك مكرمة لا لينقصوا درجات والله في عونهم . وهكذا قال الرجل في نفسه كما قال يوسف للملك(أجعلني علي خزائن الأرض).

يستمر الرجل في المدينة وحده وزوجته أما أولاده فقد مر كل واحد منهم إلي حيث وجهته وحيث يريد أن يقيموا لبنة في بناء الأمة الجديدة التي بدأت تغزوا العالم بفكرها وهي لم تزل في مرحلة الميلاد . تحتاج إلي السواعد والعقول ويحس الرجل كأنه هو الذي يدعو فإن شجرته مثمرة هكذا قال أثناء توديعهم ويعيش في المدينة ويعكف للتفرغ للدراسة ويشرع في تأليف الكتب وهو في جو إيماني مفعم بالحياة وملئ بالنبضات . وتنطلق سلسلة الأفكار عنده فيكرس فكره كله ونخاع عقله إلي الفكر الإسلامي وتنال موسوعته رواجاً في النفوس وتقبلاً من الجميع وحيث اكتفي كوكبة من العلماء أمثاله وإن كانوا دونه في المستوي بنشر الدعوة الإسلامية في المستوي ولكنه ينال منهم ما تمني وينهلون من فيضه وقد

كونوا رابطة إسلامية قوية . وتمر الأيام وتزداد حوله صولة الخير وتنطفئ جذوة الشر وراء آخري ولكن سرعان ما تحدث فتنة بين الأقباط والمسلمين فتنة كبيرة لم تحدث قبلها أو بعدها علي مدار العالم.

وهكذا تتوالي علي المسلمين النوائب ويعلم الرجل وهو في نفسه مطمئن بأنها حلاوة الروح.وهو متيقظ لها والمسلمون يغتالون والمجاهدون الثائرون من المسلمين يدافعون ويقومون بإجراءات مضادة ولكن سرعان ما تكون الغلبة للمسلمين . ويصبحون ذوي السيادة علي العالم وقد أصبح ٦٠%من عدد السكان العالم من المسلمين ، وغيرهم أصبحوا القلة أذلة كما كان المسلمون قبل. ومع ذلك فهم يمثلون نسبة عالية من السكان ولهم سطوتهم وقوتهم التي يخاف منها.هكذا قال الرجل في نفسه . غير أن الشر الأدهى والمصيبة الكبرى هم اليهود تلك الفئة التي لا تيأس من البغي والطعن في الخلف ويصاب الرجل مرة ثانية بمرض مزمن ويظل طريح الفراش بعدة أمراض منها التهاب في المعدة والقولون والرئتين وضعف بسيط في ضربات القلب ، وهي في حد ذاتها بسيطة ولكنها مجتمعة تؤرقه ويظل الرجل متوائماً مع حجرته لا يبرحها ويأتي إليه العلماء والفضلاء ويتفرغ الرجل في ذلك الوقت الذي أتعدم فيه عطاءه العلمي. إلي الشعر وها هو يصدر ديوانه الجديد " أرزوجة الشجن" ويبدأ بالقصيدة التي أرسلها في مرضه.

يا نفس توبي عن رجاء مناها وابغي التقي ثم انظري عقباها
ودعي ليال قد تطول فطالما ذقت المرار علي غصون شجاها
وهي الدواهي إذ تطول فإنها لابد يوما أن تدور رحاها
يغدو الأنام وفي القلوب ملامة تمسي النفوس وخاب من يهواها
لكن ربك في السماء وحكمهبالحق يسري والحقوق سماها
رب إذا خارت قواك مؤازر وكفاك من عين السماء نداها
وكفاك يا نفس شراع من تقي ولزام أمرك للذي سواها

أيامنا تجري بقدر تحتمي بعذابها ونعيمها نهواها
من ينظر الدنيا بعين بصيرة وجد الهموم علي سراب رباها
لوعانها غطت علي أفراحها ودماؤنا تسري بنهر دجاها
إن الذي ذرأ الأنام دعوته عند البلاء فما أخاف جناها

والرجل يلتقي بعلمائه الزملاء ويتساءلون معه لماذا تكتب الشعر والشعراء يتبعهم الغاوون. فيرد عليهم . ألم يكن سيدنا علي كرم الله وجهه وهو باب مدينة العلم كما قال عنه رسول الله ﷺ كان يقول الشعر . كما أن النبي ﷺ قال عن الأسواق إنها شر بقاع الأرض لما فيها من الفحش واليمين الغموس ومع ذلك فإن التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين ثم إن الشعراء قديماً كانوا متفرغين تماماً للشعر الذين يتكسبون به يمدحون حيناً ويسبون حيناً أما الآن وقد كان الشعر خارجاً من نفوس مهذبة فليس بعيب علي صاحبه فإنما هو نتح وجداني خرج من مجراه الطبيعي ويلقي ديوان الرجل رواجاً رائعاً ومع أن شعره لم يصل إلي أمثال شعر المتنبي والبحتري أو أمثال الشعراء المحدثين مثل شوقي وحافظ إبراهيم إلا أن شاعريته موجودة بين سطوره .

وثمة يذهب إلي مكة المكرمة لكي يؤدي مناسك الحج. وهو مريض ولكنه بدأ يحس بالقدرة علي الحركة. ويذهب مع زوجته . ويشرب من ماء زمزم الطاهرة. والرجل يدعو في الحرم بالشفاء من عند الله وتمر لحظات قلائل ويتماثل للشفاء ويحمد الله علي نعمته وهاهو وقد تجاوز الستين بأيام. يقضي شهوراً بعد الحج في مكة المكرمة وقد امتلأت البقاع المقدسة عن آخرها بالمسلمين من كل أنحاء المعمورة والمسلمون في عبق النعمة وريحان العزة والابتهاج ويعود الرجل إلي المدينة. وقد حمد الله علي نعمته وما أتمه عليه من فضله.

وهاهي قد استقرت أحوال المسلمين الاقتصادية والدينية والثقافية. وهنا لك يسمع الرجل الشيخ عن رجل ابن الثلاثين يدعي " محمد

بن عبد الله يخرج من مكة. فقال أول ما سمع أنه المهدي المنتظر. الذي أخبر عنه النبيﷺ أن اسمه يوافق اسمه. وانطلق المهدي في البلدان ينشر الخير والسماحة وتزداد نارا لشر إتقاداً فيحاول الأعداء قتله ولكن الله ينجيه والمهدي يدعو إلي الإسلام بالأسوة والموعظة الحسنة وينشر دين الله والشيخ مسرور وفرح بتلك النعمة وهو يقول((والله متم نوره ولو كره الكافرون)) . يسمع الرجل عن خروج أعور العين اليمني من العراق يدعي الألوهية . وهنالك انطلق لسان الرجل المسيخ الدجل . ويظل كل يوم يقرأ سورة الكهف عن آخرها فهو يعلم أنها تعصم من فتنة الدجال. ويسمع من الأخبار أن ذلك الرجل ضخم الجثة عظيم الهيكل . يدعو السماء فتجيبه والأرض فتنبت ، ويدعو الميت فيحيي وهو مع ذلك يدعو الناس إلي الإيمان به والناس يصدقونه ونادراً ما يفلت منه أحد فإن براهينه قوية وحجته جلية . لكن الله يلهم المؤمن القوي الإيمان فيتعرف قلبه علي كذبه فيجد مكتوبا بين حاجبيه (كافر) فيعرفه قبل أن يحدثه . ويسير الأعور فى البلاد يدعو إلى عبادته ومن لم يؤمن به قده بالمنشار ويسير وتزداد فتنته والناس فى هلع وفزع لا يدرون أن المسيح الدجال الذى قال عنه ﷺ ان عينه تشبه العنبة الطافية هو ذلك الأعور ولكن المؤمنين تحصنوا بكتاب الله ويعلم الرجل أن المسيح الأعور سوف ينتهى .وهناك .ينزل سيدنا عيسى عند بيت المقدس فيقتل المسيح الأعور .وقد توقفت قدراته وبطلت معجزاته التي أعطاها إياه الله ليختبره وليختبر المؤمنين . وينزل عيسى .ينشر العدل .وقد نزل برسالة سيدنا محمدﷺ لم ينزل برسالته القديمة حيث نسختها رسالة الإسلام ويتحول المسيحيون إلي مسلمين .ويصبح الدين الرسمى هو الدين الإسلامي .ولم يبق غير اليهود هم العظمة التي وقفت في حلق المسلمين .ولكن المسيح عيسى يدعوا إلى الإسلام ويكثر الخير ويفيض المال ولكثرة المال والخيرات لا يقبل الجزية حيث أنها لم تعد لازمة

وتعيش الأرض فى رخاء واطمئنان ، والمسلمون يتنعمون بنعم الله العظمى .ويحاول الرجل الالتقاء بالمهدى المنتظر . ويعلم انه من نسل النبي ﷺ ويسعد به كثيرا وهو يحمل بين طياته القرآن .فكأنه نبي جديد.ويظل الرجل يتساءل فى نفسه هل هو نبى ؟
ولكنه سرعان ما يقتنع بأن النبي ﷺ قد نزل عليه الوحى وما أشد وطأة الوحى وما أعظم أثره فى النفس البشرية إنه ينقيها من كل أقذائها هكذا تكون الرسالة أما الصالحون الذين يسيرون على نهج قديم فلن يرقوا إلي مستوى من التدين مثل الأنبياء إن الأنبياء هم نوابغ ومفكرون وعباقرة ثم ازدادوا قدرة وروحانية بالوحى وبتكريم الله لهم بحملهم رسالته ، أما الدعاة فهم أناس مفكرون وهكذا تذكر الشيخ الدكتور قوله (حامل القرآن مثل الأنبياء غير أنه لا يوحى إليه). إنه حامل القران معه معجزة السماء ولكن لماذا المهدى المنتظر لماذا لم يكن حامل هذه الدعوة الجديدة رجل من العصور السالفة لماذا أتم لله دعوته وحباه الله بكرامة الدعوة وسهل أمامه ليصبح امام البشر غير أنه لم يوحى إليه وهو بدعوة النبى ﷺوعلى نهجه سائر هكذا قال الرجل .ولكنه يهتدى إلى عامل الزمان حيث أن هناك أمورا لا تتم فى زمن بينما يتقبلها الزمن الآخر كما أن المهدى قد تربى تربية إسلامية ومهد ليكون حاملا لواء الإسلام من جديد وقد اعتلى ركن الإسلام وعلم الرجل أن الخير لا يتم من فرد واحد إلا إذا كان نبي آما غيره فلا يمكن أن يغير مجرى البشرية كما ليس عصر الرهبان بيد أن ثورة الدين تثور فى نفس كل إنسان بيد انه يطفئها حتى تصير رمادا أو يشعلها حتى تحرقه أو تحرق غيره وربما كان نبيا فهذبه الله واصطفاه على عينه . يتذكر الشيخ وقد تجاوز الخامسة والستين ذلك وهو يعلم أن هذه سنة الحياة وان النطفة التى نشأ منها المهدى .نطفة صالحة ونسبة يرجع إلى نسب النبى ﷺ ذلك النسل الطيب الطاهر والعرق موصل ودساس .والجو الإسلامي يفتح الآفاق لتكون

النشأة دينية فطرية .ويلتقى الرجل بالمهدى المنتظر ويسعد الاثنان بلقائها ويقال للرجل الشيخ .لقد سننت فى الإسلام سننا عظيمة صار عليها المسلمون من بعدك .وذلك أنك أدخلت فى الإسلام أفكارا تصد كيد الحاقدين وفكرا يفتح الآفاق أمام المتأملين بطرق شتى وذلك من حيث أسلوبك العذب وكلماتك الجذابة .وتتذكر قول النبى ﷺ (من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها يوم القيامة ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة). ولم يكن المهدي المنتظر .مثل النبى ﷺ يلاقى الكبت والعناء ٠

إن الصراع الآن وخاصة وأن القرآن بين إظهار المسلمين هو صراع فكرى وعقلي مبنى على التوحيد والتمجيد والثقافة والوعى الإسلامي لذلك لا يمكن لأي أحد أن يحمل وحده تلك الشعلة .وخاصة وقد اتسعت الآفاق وانفتحت الأعماق كما أن مغريات الحياة لابد أن تجعل صاحبها يقع فى الزلات ولو فى مرحله من حياته . الأنبياء فهم معصومون بإذن الله من كل رذيلة٠

والمهدى المنتظر ذلك الرجل الطيب السلوك الذي لم يصدر منه فعل واحد يغضب الله تعالى ولكنه ليس بنبي ويظل المهدى فى مكة يدعو من خلال أسطره ودعاته الذي جابوا الكرة الأرضية ينشر دين الله ذلك الشجي الصوت الجهور العقلي الخطيب البارع ، لم يكن أي داعية من دعاته من المفكرين في الدين فقط إن دعاة المهدي أصبحوا من العلماء النوابغ في شتي المجالات . وهم دعاة إلي الإسلام وهو نفسه كان دارساً لكل علوم الحياة ، إنه كان عالما ماهراً وقد درس الفلسفة والمنطق وعلم النفس درس كل ذلك علي طول مسار حياته ليصبح ثمت أعظم داعية في نهاية القرن الواحد والعشرين. ويقول الرجل نفسه إن المهدي نفي أولئك الخبثاء الذين يعتلون المنابر الذي لا تتجاوز حناجرهم ألسنتهم المفتونة قلوبهم. أصبحت الدولة الإسلامية في ريعان شبابها تحوطها نسائم الرحمة

وتتقاذف إلي القلوب تلواً رياحين الإسلام والإيمان وقد انتفضت الأفئدة من غشاوة الضلال وأغنت قلباً وقالباً لله وعلمت بأن الدين الحقيقي هو الإسلام ، لم يكن المسلمون المتخلفون سابقاً هم الدعاة ولكنها فئة مؤمنة بدأت تجاهد بالنفس والنفيس من أجل الإسلام لم يعد الدعاة مثل أولئك أبناء القرن العشرين الذين كانوا يدعون علي الناس أنهم دعاة إلي الإسلام من أجل إرضاء غريزة دنيوية لا من أجل غريزة دينية . إن الدعوة لم تعلو من فراغ ولكنها كانت قد بدأت علي أكتاف وأنقاض أولئك النفر الفارغ الذهن الضئيل العقل الذين ظنوا أسسوا دعائم للإسلام وإن كانوا لم يأخذوا فتيلا من الإنصاف إلا أن جهدهم لم يذهب هباءاً هكذا قال الشيخ في نفسه وهو يترقب حركة المهدي المنتظر . أما أولئك الأتقياء الذين فرشوا للمهدي بساط الدعوة لكي لا يلقي العنت الذي لاقاه الأنبياء وإلا صار نبياً. فلهم دور بارز وجهد محمود في المحافظة علي شعلتها متقدة وجذوتها مستمرة والمهدي المنتظر يظل يدعو . وهناك وقد نزل المسيح عيس بن مريم إلي الأرض هادياً داعياً. يدخل الناس في دين الله أفواجاً وقد تطهرت الأرض من أبناء السوء والمفتونة قلوبهم ومزعزعي العقيدة . وقد جاب الأرض ونشر الدعوة وخاصة وأنه نزل برسالة " سيدنا محمد ﷺ وما زال القرآن يتلي ويريد الشيخ أن يلتقي بالمسيح وبالمهدي المنتظر. ولكنه لم يستطع الاتصال بهما. فيراقبهما من بعيد ويرمق أخبارهما وها هي قد اتسعت رقعة السلام ونمت بشائر الإسلام . توسل الرجل إلي الله يري المسيح والمهدي ، ولكنه كان قد قرأ وعلم أن المهدي سوف يؤم المسيح في بيت المقدس. ولكن هيهات إن اليهود مازالوا يدنسون بيت المقدس .

وظل الرجل يتأمل ولكنه سرعان ما علم أن هناك حركات إسلامية تناهض اليهود في بيت المقدس واليهود يقتلون المسلمين بالأسلحة الحديثة التي أرهقوا أنفسهم بها. والتي أفنوا حياتهم كلها

من أجل صناعة هذه الأسلحة الفتاكة. وهاهو الإسلام قد انتشر فلم يعد لهم بقاء في الأرض إنهم أصبحوا يقومون بالدور الذي كان يقوم به الفدائيون الفلسطينيون من أجل الدفاع عن عقيدتهم ولكن هؤلاء أشد قوة وثباتا وعتادا . وتزداد بين اليهود حالات الانتحار. ويزداد اليهود انفلاتاً وتتوتر العلاقات ولم يعد في الأرض كلها يهودياً واحداً إلا وقد تقوقع مع أقرانه في بيت المقدس. وهم علي شفرة النهاية لما بذلوا من حماقات ومازالوا يبذلونها إنهم لن يستطيعوا أن يملكوا لأنفسهم زماماً وكيف ذلك والإسلام قد علا وفاح ذكره وهنا يتفاعل اليهود. ويطلقون صواريخ غير موجهة ويزيدون حماقة وسفاهة.

جولة في بيت المقدس

اجتمع كل الخبراء اليهود وكل أمرائهم وعلمائهم وهو يبذلون كل ما لديهم ويحطون عصارة أفكارهم. ويضعون كل ما وسعهم من مال وعتاد . وهم يستميتون في العداء فقد يأسوا وماجوا وعلموا أنه آخر رمق لهم فهم لا يستطيعوا الملامة فإما أن يموتوا أو يعيشوا علي أنقاض الإسلام ولكن أني لهم فكلما ازداد الإسلام زحفاً كلما ازداد اليهود حماقة ومهاترة. ولكنهم لم يرجعوا . حتي أعلن المسلمون الحرب عليهم كل من يجد يهودياً يقتله. واليهود يقتلون في المسلمين . والحرب سجال. ودارت الدائرة عليهم . فأصبح كل واحد منهم يتخفي في شعار مسلم ويعلن أنه مسلم ويسير في الطرقات الإسلامية. ولكن أني لهم . فقد أنطق الله الحجر والصخر وكل شئ كان اليهود يسير حوله أو يختبئ حوله من المسلم. يقول يا مسلم هذا يهودي فاقتله. باستثناء شجر كان يسمي الغرقد والذي كان يزرعه اليهود بكثرة لأنهم يعلمون أنه الوحيد الذي يقيهم من القتل ولو كانوا عقلاء بحق لاتبعوه إن كانوا صدقوا قوله . ومرت

الأعوام وهم يختبئون خلفه ولا أحد يعلم . حتي كشف الشيخ الجليل سرهم وأمر بقطع الأشجار.وهنا بدأ اليهود يظهرون ويتصيدهم المسلمون مثل الطير الضعيفة وهم يتساقطون أمام البنادق كالكلاب في الشوارع . وهنا أصبحت الأرض طاهرة من أقذائها وأدناسها. وهنا تنزل أمطار غزيرة تطهر الأرض كلها. بعد موت اليهود نهائياً وتكون دليلاً أنه لم يبق منهم واحد ظاهرً . لقد ماتوا وخرجت أرواحهم إلي روضة الزقوم ونار الحميم وهنا وقد حمد الجميع الله علي النقاء. وذلك لأنه أتم رسالته وهنا يبقي المهدي المنتظر داعياً هادياً راشداً في الناس مرشداً.

الشيخ والخلافة الراشدة

وتمر الأيام القلائل وقد أقام المهدي المنتظر خلافة إسلامية جامعة للأرض من أقطارها . لم يعد إلا فئة قليلة من النصاري أو عبدة النار أو الحمقي الذين لادين لهم وظلت الأرض تطهر والإسلام ينشر وهذا وقد أتم المهدي رسالته يلقي ربه مرضياً عنه. ومرت الأيام والشيخ يقدم في سنه وهاهو قد تجاوز الخامسة والسبعين ويبحث المسلمون في أنحاء الكوكب المتألق بالإيمان ليهتدوا إلي خليفة مسلم راشد . يحكم بما أنزل الله طاهر منذ ميلاده فلم يجدوا غير الشيخ الدكتور ومع كبر سنه إلا أن علمه العزيز وعقله الكبير وسلامته قد رجحوا كفه ميزانه وتفضله علي غيره وهكذا وقد وجد الشيخ ملكة الخطابة قد رجحت عنده وقد أطلق ثورته المكبوتة. وأفرغ كل ما كان لديه وهاهو في نهاية العمر يحس لأول مرة بالرضا والاطمئنان . ويعلم أن هدف الإنسان ليس فقط في الوصول إلي أمجاد دنيوية فربما كان هناك ما هو مكنون داخل النفس يقتلها قتلاً. ولن يستريح الإنسان إلا وهو راض عن نفسه وعن معتقداته . وعلم الشيخ حقاً لماذا يقتل الناس ويقومون بالعمليات الفدائية من أجل الدين فإن أزه في النفس أقسي ووخزه

في الضمير أشد. وهنا وقد أدرك الشيخ أن لا محالة حيث صار القوم صائر وقد اجتر كل ما كان لديه من علوم وأفرغ كل ما احتواه فؤاده من فقه وتبصر. أوصي بكل ثروته لبيت مال المسلمين. وهاهي الحضارة قد انتشرت والبلاد قد توغلت في أعماق التقدم والشيخ يقوم بالوصية بالخلافة من بعده . وقد أحس بالمرض. ولازم فراش المنية . وحيث التف حوله السائرون علي دربه لينصح لهم بخليفة للمسلمين وليكون ذلك الخليفة هو ابنه الدكتور العالم الجليل الداعية الفاضل والنابغة العالم.

وها هنا قامت الخلافة الإسلامية الراشدة لتقوم بلا منازع أو مجادل ولتلقي الخلافة مجاها دون تعنت أو حقد فقد ماتت الأحقاد واندثرت أحبال الظلام لتقوم خلافة رغم أنف الشرك.

" والله متم نوره ولو كره الكافرون"

أحوال الخلافة الراشدة

تعمر الأرض ويزداد الخير ويكثر المال ويفيض الذهب ويزهد الناس فيه وقد أصبح الخلفاء مثل " عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز. الذين فرضوا علي أنفسهم نبراس التقشف فوسع الله علي أمتهم . وهاهو الخليفة يقول لزوجته ما قاله عمر

ما زاد عن حاجتنا فالمسلمون به أولي قومي إلي بيت المال رديها والشيخ الجليل الخليفة يلبس الصوف والمسلمون يلبسون الحرير . وهكذا قامت الدولة علي التقوى والجهاد واستمرت علي العدل والورع .

" والله متم نوره ولو كره الكافرون"

قصة يأجوج ومأجوج

جلس الشيخ " عبد الفتاح عامر يلقي خطبته في المسجد الجامع الأزهر وبدأ خطبته بقوله : إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. أما بعد.. أيها الناس إني أري الناس قد انقسموا في هذا الزمان أصنافاً فمنهم من كان فاجراً لايعرف لله حقه ولايؤدي له شكره.. ومنهم من لا يدرك سبيل الحق ولا سبيل الهدي فهو واقع بين الحق والضلال يسير حيث سار الناس ويتجه حيث تقوده الأحوال ثم إن هناك صنفاً قد أظل الله عليهم رحمته فهم أرباب التقوي وأنصار الطاعة جبلت نفوسهم علي الإحسان واستقرت طباعهم علي الإيمان يؤدون لله حقه بلا واعظ ويذكرون لله أمره بلا معين ثم قال: ما تظنون أن عاقبة هذه الانقسامات ؟

إن الإسلام دين الوحدة والتضامن ليس دين المذهبية الفردية لم يكن هناك مسئ فاجر وبجواره بار عابد ليوشكن الله أن ينزل عليكم غضبه ويحيطكم بأسواط العقاب : إن الأمة الإسلامية أمة محمد شأنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالي" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" وقال أيضاً (ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون).

وقد عاقب الله بني إسرائيل حيث لم ينهوا الناس عن المنكر وقعدوا علي سبيل الغي (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظموا بعذاب بئيس بما كانوا يعملون)

وليكن ظني بكم أن تصير النفوس بالله متعلقة والآمال إلي الله وأصلة.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجلس بين الخطبتين ثم قام للخطبة الثانية ودعا المؤمنين والمؤمنات وقال: في آخر

خطبة اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لايخافك ولا يرحمنا.. اللهم وحد الصفوف وثبت القلوب وارحمنا من اتباع الهوى وأقم الصلاة.
وصلي الرجل الشيخ وانصرف المصلون من المسجد وكأن الحاضرون تعتلي وجوههم السكينة باستثناء البعض الذين لم يكونوا من الفرق الناجية بل كانوا في المساجد شيوخاً وفي الحانات شياطين ، كان الشيخ يعرفهم وعندما خرج من المسجد اتجه بعضهم إلي القهوة حيث كانوا يشربون هناك الحشيش وهذا بالنسبة لهم شئ علني لا يخافون من أحد ، بينما كان هناك نفر من الفرقة الضالة الذين لا يعرفون الحق هذه الفئة التي تبيع هذه المخدرات وتروج لهم السموم.
أنهي الشيخ عبد الفتاح صلاته وبدأ صلاة ركعتي السنة.. وكان ينتظره الدكتور بركات دكتور الأمراض الباطنة وكان هذا الدكتور يطلق اللحية ولكن يهذبها وربما جعلها في حدود قبضة اليد بحد أقصي خرج الدكتور والشيخ وركبا عربة الدكتور الفارهة مع أن هذا الدكتور كان واسع الثراء إلا أنه كان شديد التواضع لم يعنيه أن يصبح ذا شهرة مع أنه غني ولكنه إسلامي المنهج لا يقترب من المنكرات زوجته المهندسة سامية ذات الأخلاق الجمة ،
ويجلس الشيخ بجوار الدكتور فيقول له: ما رأيك فيما حدث في هذه الآونة ؟ ومع ذلك لا يتحرج الناس أن يفعلوا كل هذا.. ربما شربوا الأفيون. الحشيش..الخ. فقال الدكتور: يا صديقي لم يعد هناك ضرر إن العلم تقدم وأصبح كل شئ له استخدام إنهم الآن يعالجون به بعض الأمراض إن الناس لم يعودوا في مستوي متدني إن الإنسان الآن لم يعد مثل عصر ما قبل المهدي المنتظر وقيام الخلافة الإسلامية .. كان هناك أعداء للإسلام كانت الملل شتي والأهواء متفرقة كان هناك فقير مدقع وغني فاحش. كانت هناك الدعوة والاضطهاد قال الشيخ: حقاً ثورة ضد الكفر وضد الاستعباد حتي جاء المسيخ الدجال يختبر قوة الإيمان ويقبض الصالحين ويبقي

المفسدون " ويأتي سيدنا عيسي ليقتله وأتباعه ويحرر الضعفاء وتنطلق الأرض من أشرارها ويكثر الخير ويفيض . قال الدكتور وها ضد قد كثر الخير وذهب اليهود منذ أربعين عاماً . ولم تعد ثورة للإصلاح يرد الشيخ لقد قبض الذين يحاولون تغير المجتمع ويضحون بأنفسهم إنني أشك أننا علي بداية النهاية.

سار معه الدكتور ثم أوقف سيارته وصعدا سويا في نفس العمارة إلي الدور العاشر وهنا ودعه الشيخ واتجه كل إلي شقته في نفس الدور .

نزل الشيخ وهو يكتم ابتسامة خفيفة ويدخل الشقة فتقابله زوجته السيدة فاطمة مدرسة الثانوي.. امرأة فاضلة لاتعرف الخطأ فيها طيبة وذكاء.. جلس الشيخ في الصالون وهي تعد له الغذاء نادت علي عمرو وعصام وهدي الطالبة بكلية الطب لتساعدها في إعداد الغذاء. جلس الجميع علي المائدة سأل الشيخ ابنته كيف أخبارك يا بنيتي ؟ فيقول : الحمد لله بخير .. فالدراسة سهلة وأنا أسير بنظام والحمد لله ، تداخل عمرو في الكلام يا والدي إنها قد نحفت من كثرة المذاكرة ولعل هذا هو السبب في لبسها النظارة. ورد عصام : يا عزيزي ليس للنظارة دخل أنا في كلية الهندسة ومع ذلك لم ألبسها.. الأب ينظر في صمت ويتأمل وجوههم يلاحظ علي ابنته شيئاً غير عادي.. يكمل الطعام يجلس في الصالون يشرب الشاي تذهب هدي إلي حجرتها .. يقول عصام : (تصدق يا والدي عمرو الذي لم يتجاوز السابعة عشر وجدته أمس يمشي مع بنت السواق الذي يسكن في الدور الأول في طريق مهجور. ينظر إليه الشيخ .يقول يا عمرو(والله أنا لم أفعل خطأ ومع ذلك فهي تمشي مع كل الطلاب وقد عرفتها من المدرسة وليس لي أي غرض دنئ ولذلك فأنا لا أنظر إلي كلام الآخرين) فقال الوالد (ألم تتذكر قول ﷺ: من وضع نفسه في مواضع الشبهات فلا يلومن إلا نفسه) قال عمرو: كل أصحابي يسيرون مع البنات بلا حياء وقليل منهم من يكتفي

بمجرد الكلام مع أنهم صغار مثلي وهناك من يفعل أكثر من ذلك .قال الشيخ :وهل وصلت الأمور إلي هذه المرحلة. قال عمرو: نعم وصلوا لذلك . قال الشيخ في نفسه : نحن أمة الإسلام وبصوت واضح إن المهدي المنتظر لم يمر عليه أكثر من خمسين عاماً سوف ينزل الله علينا الغضب .. وسوف أذهب إلي المدرسة غداً لأكلم الناظر فيجده يجلس علي كرسيه والسكرتيرة تجلس علي جانب الكرسي العلوي ويضع يده علي كفيها وهي تمسك ذراعيه.. طرق الشيخ الباب فترك الناظر السكرتيرة ثم انصرفت.. كتم الشيخ انفعاله وقد بدأ عليه الوقار.. وقال في نفسه(إذا كان رب البيت..) حقاً سوف ينزل الغضب، يكلم الناظر ما هذه الفوضي؟ فيرد عليه : أي فوضي تقصد؟

قال : ما فعلت قال الناظر: أولاً يجب أن تستأذن ثم قال: إذا كنت أنا متسيباً فمن يكون محافظاً؟ إن هذا شئ عادي ومن يخالف طبيعته فهو شاذ يا شيخنا إنني أصوم وأصلي وأزكي ولكنها انفعالات طبيعية لا أستطيع كبحها.

قال الشيخ وقد جلس: إذن لو أطلق الإنسان لنفسه كل الهواجس لسرق ولقتل ولفعل كل ما يغضب الله. قال الناظر : إن المجتمع الآن لا يمنعنا من فعل هذه الأشياء ، ولا نجرؤ علي ذلك من قبل أنفسنا. هم الشيخ بالانصراف.. قال الناظر فلنكمل الحديث. قال الشيخ جزاك الله خيراً. قال الناظر: ولكن لماذا جئت ؟ قال الشيخ : ليس مهم .. أنا ولي أمر الطالب عمرو عبد الفتاح. وانصرف الشيخ يقول في نفسه: لقد أصبحت الحياة مملة والضغوط كثيرة وليس هناك وقت للتفكير في أمور الدين . إن الرفاهية التي نعيش فيها والاختلاط بين الأجناس طريقاً واضحاً للرذيلة والعاقل حقاً هو الذي يبعد فقط عنها إنه لابد من الذنوب ولابد من الخطأ ،

ركب سيارته وقد علا الحزن وجهه ، ذهب إلي دار بن الأرقم للنشر التي أنشأها منذ سنوات والتي جاهد حتي حصل علي روائع

الكتب و خاصة من كتب روائع التراث، سلم علي محمود المدير للمكتبة ويجلس علي كرسيه وهو يفكر طويلاً قال محمود: ماذا دهاك ؟ أراك اليوم صامتاً : يرد عليه : لا يوجد شئ.. يفتش في المكتبة عن كتب. يسأله محمود عن ما تبحث؟ يقول : عن كتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وظل الشيخ يقرأ ثم انصرف وهو في صمت حزين.. فتح علي شريط الشيخ " عبد الباسط " فسمع قوله (ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون). يسمع في صمت.. يذهب إلي المنزل ٠

يدخل الشقة فيجد زوجته يسألها كيف حالك؟ ترد عليه .. بخير جلست تجاهه قال وهو يتنهد ما كنت أصدق أن الحال سيصل إلي ما رأيته. قالت . ماذا؟ قال ذهبت إلي مدرسة عمرو لأمنع التسيب الذي حكي لي عنه فإذا الناظر في وضع مخل مع السكرتيرة لقد أذهلني وأصابني إحباط من ذلك المنظر.. (الأحوال بدأت تنقلب) من كان يضبط منذ فترة يعاكس فتاة كان يفصل من المدرسة.. أما الآن فإن الناظر أصبح يفعل ما لم يفعله الطلاب.. إن الحياء بدء يضيع.. ترد عليه.. ولكن الاندماج الذي أصبح حالياً يسفر عن أشياء غير مرضية أما الفساد الذي تقصده فله أماكن خاصة يكتم الشيخ شروده ينصرف ويقول : أنا ذاهب إلي والدك شيخ الأزهر.. قالت : لعله الآن غير موجود في بيته هو عند أسماء أختي.. انطلق الشيخ بعربته. يدخل علي الشيخ الأكبر.. يسأله الشيخ لماذا جئت متعجلاً هكذا؟ يرد كدت أثور من الغضب لما رأيته من أمور أفزعتني. يقص الشيخ أنباءه يرد الشيخ الأكبر إن الفتن عمت والفاحشة بدت إنه بعد هذه المرحلة وقد قبض الله أعداء الدين وأصبح الدين الظاهر هو الدين الإسلامي وضاقت الأرض بغير المسلمين فإنه لابد لكل شئ إذا ما تم نقصان.. ألم تنظر إلي بلاد الأمريكتين الذين كانوا رعاة بقر لقد أصبحوا أسياد العالم في

ثرائهم وتقدمهم .. إن الاندماج بين الفئات والتواصل سيؤدي بهم إلي الانهيار لا محالة .

يحضر مؤتمراً أخيراً في (الدين وكيفية تحريكه في النفوس) يلقي محاضرته، يسأله الدكتور شوقي عن بحثه وعن نقاشه يتكلمان كثيراً يعطي الشيخ له ميعاداً في مسجد الجامع الأزهر بعد صلاة الجمعة من أول الشهر يلتقيان يسأله الدكتور عن رأيه في المجتمع والدين يقول الشيخ في نفسه: سبحان الله علي هذا شئ جال بخاطري..

يقول الدكتور : إني رأيت تدهوراً أطاح بفكري لقد شل تفكيري يقول الشيخ : ولكنه سوف يحدث لا محالة يقول الدكتور : ربما كان الناس بعد مرور المحنة أفضل من ذي قبل يرد الشيخ: ولكن غياب القدوة يؤدي بالتدريج إلي الضياع والفساد ولكل إنسان قدوة خاصة به فالطفل قدوته أبواه ثم أخوته ثم أقاربه ثم مدرسيه ثم مجتمعه فإذا فسد الأب وهو الأقرب كان من الصعب علي الأبعد أن يوجه وكلما بعد كان أقل تأثيراً فمثلاً إذا وجد الطفل شيئاً قبيحاً أنكره في أول مرة ولكن سرعان ما يتعود عليه إذا تكرر وجوده أمامه ثم إن وجود المغريات مع الضغوط الاجتماعية مع غياب القدوة سيكون سبباً في تأكيد الفكرة السيئة رغما عنه حتى لو عولج الفساد بعد ذلك فسوف يترك أثراً في نفس صاحبه..

قال الدكتور: كنت في باريس ووجدت أن الناس يعتادون شرب الخمر لقد أصبح الخمر بدل الماء..الرجال هناك يتعانقون مع النساء بدون زجر أو قيد أو موانع وأصبحنا نحن الآن في مصر نبيح بعض هذا وإن كان بقيود ولكنه سيصل يوماً ما إلي مرحلة من الفوضى لا تطاق إن المعذب الحق في هذا العصر هو الإنسان الذي يتمسك بدينه إنه مثل القابض علي جمرة من نار يقول الدكتور: إذن سوف تضيع الأرض ثم تنهار الشيخ يرد: إن الأرض قد وصلت إلي مرحلة الاكتمال ووصلت الرسالة المحمدية إلي دورها النهائي

جاء النبي ﷺ والناس في جهل وظلام فحولهم من شياطين إلي ملائكة وهاهي الرسالة قد اكتملت وأخذت الأرض زخرفها وأخرجت أكثر ما في جوفها لقد أخرجت أثقالها العالم تقدم ووصل إلي أرقي ما يمكن الوصول إليه.. بدأ الإسلام ينطفئ من النفوس وتذوب الأواصر من القلوب .. إن الإسلام شمل العلاقات بين الشعوب مثل فراشة الحرير التي ترعي الخيط وتضع البيض ثم تموت وقد أتم الإسلام بين الشعوب مرحلته الأولي ثم جاء فأكمل الدورة فتقدمت الأمم ثم جاء الدور الأكبر ليقدم الرباط الأوثق بين الناس دينا ودنيا وهاهو قد انتهي دوره وقد بدأت الحضارة تزداد والأمم تتقدم ولن يبقي إلا أشخاص بلا إيمان كأشجار بلا ثمار يتعجب الدكتور من فصاحة الشيخ وعقلانيته ويسأله ولكن ما نهاية ذلك؟ يرد الشيخ : إنها نهاية الحياة.. انظر إلي تلك المساجد كنا نراها مكتملة عن آخرها والآن أصبحت للزينة وللزينة فقط .. الناس بجوار المساجد ولا يصلون حتى الأئمة والكبار لم يعودوا يظهرون بالمظهر اللائق بهم كمسلمين سوف تلقي الأرض حتفها..وانصرف الدكتور وقد أثقلت نفسه بالمتاعب وأعياه الذي أعيا الشيخ قبله وقد ازدادت نفسه ظمأً بعد ظمأ وارتوت من بعد اليأس يأساً وأيقن بما أيقن به الشيخ من قبل.. العيب ليس علينا إنما العيب علي قوم لا يفقهون . إنك لن تغير نفوساً تتجه نحو الضياع.. إن العذاب من الله والغضب هو المطهر .

ينصرف الدكتور وقد امتلأت نفسه حيرة وقلقاً ولكن سرعان ما ارتسمت علي وجهه علامات الانسجام والاستقرار .. يقوم الشيخ مع علمه بما يؤول إليه الحال بحملات توعية كثيرة ومؤتمرات ، وندوات يذهب بنفسه إلي المدارس يقوم بحملات عالية الإتقان.. يلقي خطب بنفسه حينًا وعن طريق إخوانه حينا آخر يسمع الشيخ عن نزول نار تحرق بلداناً كثيرة مجموعة من الشهب تنزل علي بلاد أفريقيا وبعض بلدان آسيا.. يتساءل الرجل لماذا هذه البلاد إذا

كان ذلك هو غضب من الله؟ ويعود ليقول: إنها حكمة اختصت البلاء بقوم ليكونوا عبرة وعظة تكون وحدها ويزداد الشيخ في حملات التوعية والتذكير وفي قرارة نفسه يعلم أن الطريق إلي زوال ولكن ما عليه إلا البلاغ ثمت يحدث له فتور وانكسار ويعيش في حالة ركود ٠

الأيام والشيخ يعيش في حالة استقرار وانسجام وأخذ يتناسى وينسي ، تغريه الأحلام طورا فتذوب كل عوامل الحمية لديه وتصده الهزاءات حيناً فتغلق في نفسه الأفكار وترتد في فكره الطموحات يلتقي الشيخ في مكتبته وداره بامرأة جميلة تزيد مجموعة من الكتب تتردد علي المكتبة يعجبه يعجبه أسلوبها يحاول التعرف عليها إنها طبيبة أسنان ،كانت تحب الإطلاع والقراءة هي تعرف الشيخ من خلال قراءاتها عن كتبه ،وقد سلبت الكتب عقلها وتكرر زيارتها للمكتبة ثم يعرض الشيخ عليها الزواج تستجيب له يعيش الرجل معها أياما جميلة ، ينسي أفكاره ومتاعبه ، لقد قضي السنتين الأخيرتين في حالة من الراحة والاطمئنان وقد امتصت زوجته الأخيرة شيئا من شتات أفكاره وأخذت عنه الكثير من همومه وأخرجت الكثير من أكداره و وها هو يدخل في الخامسة والأربعين يستقبلها بعقل هادئ وقد أغفل بيته الآخر حيث ذاب في كينونة زوجته الطبيبة التي سحرت لبه وجعلت من طموحه الهائج ومن بركانه الثائر بحرا راكدا وسهلا مذللا ٠٠يستمر في خطابته ولكن شتان ما بين الأمس واليوم ، لقد شابت يقظته وشرب من ثمالة الحياة ٠٠تجلس معه زوجته الطبيبة وتسأله ما هي علامات الساعة ؟ فقد أكملت قراءة كتبه وكتب أخري عن الساعة وأشراطها ٠٠ويجيب عليها ٠٠ بأن العلامات الصغرى لا بد وأنها قد ظهرت ، أما العلامات الكبرى فهي علي أهبة الظهور وهي في الطريق لا محالة عن هناك مراحل لا بد وان تحدث ٠٠ وتسأله وهل هناك وقت محدد لها ؟ فيقول : " قل إنما علمها عند ربي "

إن وقتها مجهول ولكن العلم بها معلوم تفهم ما يقول وتستوعبه وقد علمت جوهر أفكاره وقد أصبحت وحدها الركن الذي يأوي إليه والملجأ الذي يهرع له وقت الأزمة والشدة حين تزيد عليه الأعباء وتثقل كاهله الهموم .

تظهر الزلازل والبراكين وهي الآن أقل ضراوة من أن تكون ذات أثر تحدث الرجل عنها في خطبة الجمعة ، العلماء يقولون إنها أصبحت شيئا عاديا ولن تهدأ يجب أن نأخذ حذرنا والمباني لا بد أن تكون مهيأة لها ولأنها أصبحت شيئا من الطبيعة

علماء الفلك والأرصاد يقولون عن الأرض قد أوشكت علي أن تدمر نفسها ولا بد لها حقيقة من النهاية

يعود الفكر إلي الشيخ وتلاحظ زوجته الطبيبة عليه ذلك فتشير عليه بالاتجاه إلي مكان جميل وهادئ وبعيد عن الضوضاء وعوامل جذب الأفكار وخاصة وأنه يزداد ضيقا من ما يراه من سلبيات ومعاصي تذهب بعقله وتحيد بفكره عن الصواب

يرفض الرجل البعد عن القاهرة وعن مصدر عمله وعن أسرته التي لا يحب أن يفارقها

يستشير زوجته الأولي في ذلك ولكنها أيضا كانت معترضة فهي تحب أن تكون معه دائما ولكنه سرعان ما يستجيب لنداء قلبه ويلبي للطبيبة طلبها ويعتذر للزوجة الأولي بأنه ذاهب إي عمل ولا بد له من السفر والإقامة لمدة غير معلومة .

انطلق الرجل إلي العريش مع زوجته ليقيمان في فندق .

وبدأ يشعر بالهدوء والاستقرار وهو بعيد عن كل مصادر الإزعاج

يفكر في إنشاء دار للنشر ويستشير زوجته فتسانده في تنفيذ فكرته وحينما ينتهي منها تقوم بإدارتها له

يعود الرجل إلي القاهرة غريبا   لا يرد الإقامة بها وخاصة وأنه قد تأقلم مع جو أسرته الجديدة

يحن الرجل غلي الزوجة الجديدة والتي ملأت عليه حياته ويعود لا محالة إلي العريش وبدون أدني ترتيب ،
يبدأ في ارتجاز بعض الأبيات لزوجته وهو في طريف العودة ويقدمها هدية لها وهي

يحيا وموطنه لديكي ما كان ينسي مقلتيكي
سالت أهل الهوي فقالوا بان أمري إلي يديكي
وكم تشعبت في بحار فغصت أهمي لناظريكي
إذا غرقت فلست أدري بان مأوي الهدي إليك

لقد نسي الرجل أولاده في أي عام وكم أصبح عمر الواحد منهم وكيف يقضي أيامه وكيف تكون حالته ،
لقد نسي أن ابنه عمرو قد أصبح في السنة الأخيرة من كلية الهندسة وأن عصام قد التحق بكلية الآداب وأن زوجته فاطمة أصبحت مديرة مدرسة فكل الذي يعلمه أن ابنته قد أصبحت في السنة النهائية من كلية الطب ولم يعد لها غير قليل لتصبح طبيبة تمارس العمل في الطب وهذا كان حلما له .
ومرت الأيام وأصبح ابنه مهندسا .
يأخذ الرجل الشقة الموجودة في الجيزة وذلك ليقضي فيها أوقاتا كثيرة من التأمل والقراءة بعد أن فقد الكثير من وقته بعيدا عنها يسافر عمرو ابنه إلي الخارج للعمل ، ويتجه بعدها إلي أمريكا للهجرة والإقامة المستديمة بها فهو لا يود التنقل بين البلدان وقد وجد فيها ضالته ، يرسل الرجل إليه عدة رسائل ليطلب منه العودة ولكنه يرفض ويصر علي عدم العودة
يصاب الرجل بفترة من الضيق والقلق وخاصة وأنه كان ينتظر من ابنه أن يصبح سندا له وعونا يمتص عنه الملل .

تفرغ ابنته هدي من الدراسة بكلية الطب وتهاجر هي الأخرى مع زوجها إلي اليابان لتقيم هناك وتعمل للأبد وتترك أباها بدون مؤنس له في سنه الذي كبر ، ولكن هدي كانت تقوم بالاتصال الدائم بأبيها وترسل إليه الهدايا

تبدأ الأرض في الزلازل والبراكين وتخرج الأرض غضبها والأحوال تزداد سوءا والناس يزدادون قلقا ولكنهم لا يتنحون عن حب الضلال والتمادي فيه .

الشيخ يزداد حزنا علي أولاده من ناحية ومن ناحية أخري علي أحوال الأرض وأوضاعها والسوء الذي تزداد فيه وهو دليل علي غضب الله علي الإنسان نتيجة للذنوب والمعاصي

يموت والد زوجته شيخ الأزهر ليصبح هو النائب له بالانتخاب وبالإجماع دليلا علي ثقة الجميع فيه وتقديرهم لتدينه .

يقضي الرجل أوقاته ما بين القاهرة والعريش ليشغل نفسه بالتنقل والتنوع حتي ينسي ما هو فيه من فكر وانشغال

ينهمك أكثر في القراءة في مكتباته المتنوعة ويتناقش مع زوجاته وسرعان ما يرقد الرجل في الفراش وتزداد حالته سوءا وينقل علي إثرها للمستشفي ويستمر علاجه شهرين كاملين وتنقضي بعدهما الأزمة ويعود إلي المنزل ليعاود الإحساس بالوحدة والشعور بالملل من جديد ولكنه يعاود الانهماك في القراءة والإطلاع مرة ثانية

يعلم الرجل أن مرحلته العمرية تحتاج إلي هدوء واستقرار فبدأ يحاول أن يقلع عن عوامل القلق والاضطراب ، مرحلة توديع ربيع العمر والذهاب به إلي مرحلة الخريف

لم يعد يجد في زوجتيه عزاءا له عن ما يدور بخلجاته ولم يعد يجد في الحديث معهما السلوان والفرحة اللتان كانتا يدخلان قلبه حين يدور معهما الحديث وخاصة وأن الطبيبة قد أنجبت له ابنا جديدا

يتعرف الشيخ علي زميلة ابنته هدي الطبيبة والتي يكبرها بفارق سني كبير ووجد فيها العزاء عن الزوجتين الأخرتين وعرض عليها الزواج ووافقت مع رفض أهلها الشديد ولكن والدها كان قد مات مبكرا ووجدت في الشيخ هذا كل ما ترجوه من الحنان الذي فقدته من والدها ، لم تعلم الأخرتين بهذه الزيجة الثالثة .

أصبح الوقت موزعا بين الثلاثة ولكن الكبيرة علمت مؤخرا بأنه تزوج الثانية ولم تعلم بالثالثة فحزنت وغضبت ولكنها سرعان ما هدأت وصمتت وزهدت فيه وفي السؤال عنه فقد علمت أنه الآن في يد امرأة أخري أكثر منها جلدا وتحملا وصبرا ورقة ونعومة معه ولهذا لم تعد تسأله عن تأخره أو ما يقلقه وخاصة وأنها هي الأخرى قد بلغت من العمر الكثير

يبدأ الرجل في قضاء أوقات كثيرة من العبادة والتوسل إلي الله أن يصلح أحوال الأمة التي فقدت الكثير من نقائها وبهائها يري الناس قد أقلعوا عن الصلاة في المساجد وعن صلاة الجماعة أيضا وأصبحت المساجد أماكنا للزينة والتباهي بها لا أكثر ينادي الرجل في الناس بالعودة للمساجد والرجوع إلي الله ولكن الناس لا يستجيبون له وأصبح البعض ينظر إليه علي أنه مجنون أو أنه إنسان رجعي والبعض ينظر إليه باستهزاء كأنه يتكلم في شئ غريب .

الذي أذهل الرجل أن الناس كانوا منذ زمن قريب يعرفون علي الأقل الصلاة والكثير يقدس صلاة الجماعة حني وغن كان مقصرا فيها ولكن الزمن يعود إلي الخلف والعقول تتقهقر والقلوب تصدا ولا مناص من التأقلم مع الزمن الجديد

كان الرجل يحزن أشد الحزن علي ضياع بعض القيم الإسلامية البسيطة وها هو الآن يري الناس يتجاهلون المعلوم من الدين بالضرورة بل ربما نظروا إليه شذرا حين يذكرهم بها

ومع هذا كان هناك من لم يزل محافظا علي الصلاة وعلي أخلاقها ولكن ليس بنفس الدرجة التي كان يؤديها بها من قبل
يقول في نفسه " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء "
يتجه الرجل إلي مرسي مطروح ليقضي زمنا مع زوجته الأخيرة وليؤسس دارا للنشر تصبح هي مديرتها
يبدأ في عمل أوكازيونات للكتب وخاصة وأن ثروته قد أصبحت كبيرة وانه في الخريف العمري ولا يجد أن للمال قيمة في غير نشر دعوة الله ، يزداد في الاوكازيونات ويزداد في إهداء الكتب إلي الناس ويزداد في الخطابة والتوجيه هو وبعض المثقفين والحامين للدين والغيورين عليه مثله .ولكنه يجد نفوسا لا تستجيب وآذانا صما وقلوبا غلفا يقول " صم بكم عمي فهم لا يعقلون " ، لا يجد الرجل مناص من السير في طريقه إلي الدعوة مهما كلفه ذلك من عناء ومشقة ومهما قال الناس له ومهما بذل من مال وما هي قيمة الحياة بدون هدف وما قيمتها بدون أمل أو غاية تبعث الحياة في القلوب تقول له زوجته الأخيرة هدئ من روعك وعليك بالتمهل والهدوء ولكنه يقول لها وحتي لا يبعثني الله وأنا مقصر وإن كنت أعلم أنه لا أمل في العودة إلي ما كنا عليه قبل المهدي المنتظر ولن تعود أيام الخلافة الراشدة .
تهب بعض الفئات من العلماء ليقوموا بإعادة اليقظة الإسلامية والنخوة الدينية إلي النفوس ولكم لا استجابة إلا في وقتها وكأن المتعظ يحتاج كل يوم من يوجهه ويذكره بالصلاة والعبادة بلا انقطاع فإذا غاب نسي ما كان يدعو إليه .
ينشر الرجل قصيدته التي فيها

"إذا روح الشرائع قد أهينت		ستزحف صوب بائعها الحمائم
أري الأوزار أثقلت الجبال		وبطن الأرض للأوزار سائم
أري حكم السماء يدور فيها		وعقل الناس عن فحواه نائم

يشتاق الرجل لزيارة ابنته هدي والتي أنجبت الآن مولودا جديدا يقوم بزيارتها في اليابان ليقضي عندها شهرا كاملا يفرح بحفيده الجديد ويسعد برؤيته ويرتجز له قصيدة من تأليفه يقول فيها :

عند الفجر رفعت غطائي		قمت إلي المسجد
قمت أصلي في المحراب		ولم أنتظر الناس
ثم صعدت المنبر وحدي والمسجد مملوء
قام الشيخ وقال تعالي فالخطبة في يوم الجمعة

يضحك الطفل لنغمة جده وهزله معه وإن كان لا يفهم اللغة التي يتكلم بها فلغته هي اليابانية وغن كان يحن للعربية التي يجد أبويه يتكلمان بها .
يعود الرجل إلي بلدته ليجد أن الصبيان أصبحت هي التي تخطب في المساجد وان الناس راضية وسعيدة بهذه الأحوال وأن الأمر يزداد سوءا وتذكر الشيخ أن هذه من علامات القيامة وهو يقول " أزفت الآزفة " ومع ذلك فقد ثار وهاج ونصح الناس ولكن الذي أقلقه أن الناس قالوا له عن ذلك لا حرج فيه في الدين ولا مانع شرعا ومع ذلك أصبح التسابق علي ذلك هو المرغوب ولهذا اكتفي بإنكار ذلك في قلبه فقط .
تمرض زوجته إثر زواج ابنها عصام ولكنها سرعان ما تشفي يقوم بنقلها إلي فيلا خاصة ليقضيا فيها الأوقات الخالية من حياتهما بعيدا عن المتاعب وخاصة وأنها زوجته الأولي وشريكة حياته وكفاحه .

يجتاح العاصمة زلزال مدمر والناس تهرع وتفزع والشيخ يعلم السبب ولكن الناس ينهمكون في الأبحاث العلمية والبحث عن أحوال الأرض وخاصة وأن العلم قد تقدم ٠

يقول الشيخ لأحد علماء الفلك والـأرصاد إن السبب هو ضلال الناس عن دين الله ولكن لا فائدة ولا اقتناع٠ قال العالم :

العلم وحده هو المقياس ولكن ما الحيلة من قوة الغضب والسخط التي سيحصد أهل الأرض جميعا نتائجهما ٠

يحدث شجار بين الشيخ وبين زوجته الثالثة ويحاول البعض الإصلاح ولكن لا فائدة ولا جدوي من الإصلاح تطلب الطلاق ويمل منها فيقوم بتطليقها وينهمك هو في القراءة

يمرض الشيخ فجأة تقوم بتمريضه فتاة جميلة يتعلق بها قلبه وتتعلق هي الأخرى به فيتزوجها خاصة وأن زوجته الأولي مريضة وملازمة الفراش والثانية منهمكة في عملها وهذا بدون علم الأخرتين ويقيم معها في الإسكندرية واشتري لها فيلا خاصة بها ٠

ينظر الرجل حوله في الشوارع فإذا السفور قد زاد والفساد في امتداد والذي كان يجعله أكثر اشمئزازا هو رضا الناس عن الواقع المر وبالعكس حبهم له ومقتهم لكل ما هو قديم كأنهم يريدون بكامل إرادتهم الانحلال والفساد ٠

يقول الرجل في نفسه

لقد أسمعت لو ناديت حيا   ولكن لا حياة لمن تنادي

الناس يسيرون في طريق منحدر لا يستجيبون لحق ولا يسمعون لخير وكأن آذانهم قد أغلقت عن سماع النصح والإرشاد

الرجال تبدأ في التخنث والنساء في الإسترجال بشكل أكثر وضوحا يتعجب الرجل ويتذكر أيام الخلافة الإسلامية الراشدة التي كان الناس يتمسكون فيها بكامل تعاليم الدين ٠

الرجل يسير في الشارع كأنه وسط القاذورات وسط الإحراج والقلق والضيق والضجر وكأنه لم يعد من أهل هذه البلدة وكأنه من بلدة أخري ٠ والغريب أن الدول الأخرى أصبحت علي هذا المنوال بل أكثر ٠ ويدرك الشيخ ذلك من خلال الأطباق الفضائية ومن خلال محطات الراديو والبرامج التليفزيونية ٠

تزداد الحروب الأهلية وتزداد الثورات والفتن والحروب بين الدول علي أتفه الأسباب

الإدمان أصبح عادة وأصبح مدمني الخمور والمخدرات من الفئات الراقية داخل المجتمع بل علي العكس أصبح أغلبهم من رجال الدين الذين يمثلون رمز الخير والدعوة إلي الله ،

يجلس الشيخ في دار نشر من دوره وهو يفكر في أحوال الأمة وأهوالها وما وصلت إليه ويسمع ذات مرة في المذياع أن حوادث القتل قد زادت بنسبة مائة في المائة وأن حوادث الاغتصاب أصبحت ثلاثة أضعاف وان حوادث السرقة بالإكراه أصبحت خمسة أضعاف وان الزنا زاد إلي عشرة أضعاف وأن الزنا أصبح شيئا غير مكروه بل نزل قرار بأنه من الأمور الاعتيادية وذلك طالما أنه لا يوجد فيه إكراه ٠ قال الرجل كنت أعيب علي دول أوروبا التي تقول بذلك ولكنني الآن وجدت أن حالنا أسوأ منهم وأننا في الطريق إلي النهاية لا محالة ٠

إن الأرض الآن أصبحت مثل الغابة يأكل القوي فيها الضعيف ومن لا قوة له فلا كيان له ولا وجود وسط هذا السيل العارم من الانحلال والفوضى

تزداد الحروب الأهلية اشتعالا والخمور تزداد في طريقها إلي قلوب الناس بل إن سرعة انتشارها أصبح لا مثيل له لدرجة أن الدولة قد جعلتها شيئا مباحا وان تعاطيها لا خطر فيه طالما كانت في أماكن مغلقة بل إن رئيس الدولة نفسه بدأ يتعاطاها علنا ٠

يتذكر الشيخ قول الله تعالي " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " يتذكر حال الناس وقد بدؤا في التحول إلي الحالة البهيمية

إن الأحوال في تدهور وانحطاط ولا رجوع إلي الخير ٠

يذهب الرجل إلي زوجته الثالثة ليقضي معها بعض ساعاته ويشاهد من شرفة المنزل ذات ليلة مقمرة حادثا مروعا لقد رأي طفلا صغيرا يحمل مسدسا وسط الطريق فظن أنه لعبة ولكنه وجده يقوم بإطلاق الرصاص علي خمسة من الأفراد فيرديهم قتلي ثم يقتل نفسه ٠ يصاب الرجل بالضيق الشديد والقلق الزائد ويقول كيف وصلت الأمة إلي ما هي عليه إن هناك أشياء لا نعلمها تجر الناس إلي طريق الهاوية والناس لا يعبئون به بل يفرحون ويستجيبون لها ما الحيلة ؟ وما الملجأ ؟ أسئلة تدور في رأسه ولكنه لا يجد منها مخرجا ٠

يقوم الرجل بالحملات المكثفة للثورة علي المخدرات والفساد ومعه نفر من المخلصين والغيورين علي الدين ولكن لا جدوي لقد ثار الناس علي ثورته وعنفوه وعاتبوه وما شانه بهم إذا كان معترضا فلا يشرب وعليه بنفسه فقط وإلا تعرض للتنكيل به ولكنه لم يستجيب لهم وازداد في حملاته وما كان منهم إلا أن قاموا بإطلاق عيار ناري عليه وأنقذته العناية الإلهية ٠

يهتز القطر كله بما حدث للرجل فالرجل كان مع كل ذلك معروفا وله تاريخ طويل في العطاء للوطن وإن اختلفت الآراء وأيضا كانت هناك فئة طاهرة تحافظ علي تعاليم الدين وتعمل به ٠

يتجه الشيخ في فترة نقاهته إلي العريش مع زوجته الثانية والتي انكشف أمر زواجه للجميع حيث أثرت الصدمة فيهم جميعا وسمحوا له بالذهاب معها إلي العريش لقضاء فترة النقاهة وقد أنجبت له هذه الطبيبة ابنا آخر ٠

يقل حماس الرجل ويزداد فتوره وقلقه تمرض زوجته الأولي فيعود للاطمئنان عليها وتلازم الفراش طويلا ويزداد المرض حدة .
يثور الرجل مرة ثانية ويزداد غضبه وخاصة وأنه قد صدر قرار من رئيس الدولة بإباحة الفجور ولا رقابة علي أي شيء من الموبقات وثار الكثير من أبناء البلدة لذلك ولكن لا فائدة لقد أصبح المصلحون هم المفسدون وأصبحوا غرباء في أوطانهم .
الحروب الأهلية تزداد والفتن تزداد والفساد ينتشر ولكن لا فائدة ولا رجوع للوراء المفسدون هم السادة والمصلحون هم الغرباء والمستبعدون
أصبحت البنت في بعض الأحيان ربة لأمها وأحيانا تعاملها معاملة قاسية وأصبح الغثاء رعاة الأغنام يتطاولون في البنيان ، وانقلبت الأحوال والأوضاع والقيم كل هذا في الخمسين سنة التي بدأ الرجل فيها يميز ويدرك الدنيا بعينيه وأذنيه وقد تجاوز الآن السبعين .

بداية النهاية

يضيق الرجل بنفسه وتتأزم الأحوال في وجهه وخاصة وأنه الآن قد تجاوز السبعين بقليل وماذا عساه صانع لما يحدث ؟ لا بد من الانغلاق علي نفسه ليقضي أيامه الأخيرة في هدوء ورضا بما يقدره الله له .
يلقي زوجته الممرضة في وضع غير مقبول مع رجل آخر فيقوم بتطليقها ويحمد الله أنه لم ينجب منها
ويصاب بعد ذلك بأزمة صحية ينقل بعدها للمستشفي .
تقوم ابنته بدعوته لقضاء شهر معها في أمريكا التي انتقلت إليها للعمل بها هي وزجها وليغير من جوه الخانق وينسي ذكري زوجته الخائنة والتي علمت بما فعلته .
يعود إلي بلدته وبعد أن قضي شهرين كاملين في عزلة تامة .

يصاب الرجل بارتفاع في الضغط وحساسية مفرطة وهذه من أمراض الشيخوخة .

يبعث ابنه إليه دعوة لزيارة أمريكا وليقضي عنده أيضا شهرين كاملين و يلقي الرجل فيها من الفساد ما تشيب له الولدان ويصاب الرجل بالإحباط ولكنه يقول لنفسه يجب أن تصاب باللامبالاة وإن لا أصبت بالجنون ، إن الحزن والقلق لن يغيرا الأوضاع ولن يصلحا ما قد فسد ولكن ما عليك إلا التجاهل والصبر والصمت وملاحظة الموقف من بعيد إن عمرك الآن لا يتحمل كل هذا .

يجتاح أمريكا زلزال مدمر وعواصف رعدية وسيول جارفة يموت علي إثرها الكثير ويستغيث الناس وتزداد الشكوى ولكن لا عبرة بالرجوع إلي الله والشيخ يراقب الموقف من بعيد كما أوصي نفسه وكما أوصته زوجتيه اللتان أقامتا معه في مسكن واحد ولكن في مكان مختلف لقد اجتمع الشيخ بالكوكبة من العلماء الباقين وأهل الدين المحافظين وعلموا أن الأرض أقبلت علي النهاية وان الفساد لا محالة هو السائد و أن الأرض لا محالة إلي زوال .

العلم يزداد تقدما والعلماء يكتشفون كل يوم المزيد من الابتكارات والاختراعات والاكتشافات العلمية الحديثة .

أصبح العلم بالدين من الأمور التافهة التي لا قيمة لها بدأ الناس لا ينظرون إلي الدين باعتبار أنه تاج علي رأس الفرد أو مميز له بل لا أحد ينظر إلي الديانة .

جلس الرجل مع زوجته الطبيبة وقد شكت هي الأخري من عدم وجود وازع ديني ولا غيرة علي الدين حتى عند غير المسلمين وقالت سبحان الله لقد انقطع دابر اليهود من زماننا بعد المهدي المنتظر ولكن للأسف الشديد بدأ الناس يعبدون أشياء لم نكن نعلمها لقد عبد الناس المال وعبدوا المرأة ولا حرج .

بدأ الشيطان يظهر علي الساحة وفي صورة إنسان عادي ولكن المسلم يعرف أنه الشيطان فله وجه منفر وهو يخاف ويصاب

بالرعب من المسلم المحافظ علي دينه بل ربما فر منه أمام الناس وهم لا يتعظون ولا يرجعون إلي طريق الخير .
الغريب أن الشيطان قام ببث منشورات يحذر الناس فيها من الشيخ ومن سماع كلامه والأدهى والأمر أنه ظهر علي الشاشة ذات مرة مع أن الجميع يعرفه ولكنهم بدؤا يتعودون عليه ولا ينكرون وجوده لقد بدأ البعض يطلبه ويتمني ظهوره وسماع أحاديثه اليومية حتى أصبح بعد فترة وجيزة من الوجوه المعتادة
وظهر أيضا علي شبكات الإنترنت وفي المذياع والغريب أن هناك الشيطان القائد وله أعوان يشبهونه تقريبا في كل مكان يحملون نفس الملامح ونفس الأسلوب في الإغواء والإفساد ولا أحد يتعظ من ما يحدث غير فئة قليلة لا تستطيع إلا أن تحافظ علي قيمها وأخلاقها لا أكثر ، والفساد ينتشر ومن بقي من المحافظين علي الأخلاق يموت إما للاضطهاد من المجتمع أو لليأس الذي يصيبهم أو لوقوعهم في آثام ربما دمرتهم وجعلتهم ينساقون لها أو للخوف من الفتن والانعزال عن المجتمع المهم أن المولود الحديث لا أمل أن يصبح سويا طالما أن أبويه غير محافظين تماما علي الدين أما الضعفاء في المحافظة فلا بد أن ينجرف أولادهم في عالم الانحلال لا محالة إما بالمخدرات أو بالشذوذ أو بإتباع نصائح الشيطان أو غيره المهم أن القدرة علي التقويم أصبحت معدومة .
ظهرت فئة جديدة في المجتمع هي عبدة الشيطان مجموعة من الشباب المستهتر الشاذ المرفه التافه يقومون بعمل طقوس وعبادات للشيطان يجتمعون له كل أسبوع في مكان محدد ولكل بلدة مكان مخصص لها لإقامة الشعائر بدلا من المساجد وأصبح هناك مكان سنوي يجتمعون فيه ، والشيخ يصاب بالإحباط والاكتئاب أكثر بسبب هذا التدني والتدهور في أحوال الناس وهو يقول لنفسه فلم يعد جدوي في الكلام للآخرين : ما الفائدة من

النصح ولا قيمة لأي كلام يقال : ماذا بعد عباد الشيطان إنها النهاية لا محالة

وخاصة وأن الشيخ قد كبر سنه وقل جهده ولكن ثارت ثائرة المتدينين الباقين وهاجوا وماجوا وحدثت اغتيالات وقتل وعمليات استشهادية للقضاء علي ما يحدث والشيخ يقول حقا كما قال صلي الله عليه وسلم " الخير في وفي أمتي إلي يوم القيامة" .

لقد منعت هذه الأحداث الشيطان من أن يسيطر علي كل سكان الأرض وغن كان طريقه يزداد قوة وأتباعه يزدادون عددا وقوة وإن حاربهم أيضا غير المسلمين لأن الشيطان دائما رمز للفوضى والإباحية المطلقة

ومع كل هذا فالعلم يزداد تقدما والأرض تزداد ثراء وغني مع كال الموبقات والآثام التي تحدث فيها .

ظهرت فئة أخري تعبد الشيطان ولكن علي صورة صنم بدلا من الشيطان الحقيقي حتي تتاح لهم الفرصة للسجود له في أي وقت كان والغريب أن هذه هي فئة منشقة عن الفئة الأولي والغريب أن هذا كان من تدبير الشيطان نفسه وبرضاه وإن كانوا لا يدركون ذلك أصبح لعبدة الشيطان طقوس وشعارات يقومون بها ، لقد كانوا يقومون بذبح الأطفال قربانا للشيطان في كل نسك له وفي كل صلاة والناس تزداد تذمرا من ما يحدث ولكن لا فائدة فالشيطان قد سيطر وتمكن من أتباعه وهم في ازدياد لا يستطيع أحد إصلاحهم طالما أنه تمكن منهم .

بدأت هناك ملل شتي تظهر وديانات أخري تبدأ في الظهور علي الساحة ظهرت فئة النساك وهم فئة لا عمل لهم ولا عبادة غير الجلوس في المساجد التي أصبحت خاوية علي عروشها وهم لا يؤدون الصلاة إنهم يتخذونها مكانا للجلوس بدلا من المقاهي يغضب الشيخ ولكن ما الفائدة وما القيمة من حديثه فهم أفضل من

عباد الشيطان علي أي حال وهو يقول إنهم فئة من المرضي عقليا الذين لا يجدون ما يقومون به غير ما يفعلون .
تظهر أمام الشيخ فئة تلقب نفسها بالفرقة الهادية هذه الفرقة كل همها أنها تعتبر نفسها الفرقة التي تسير علي الحق وتهدي الناس إلي الطريق السوي ولا يقدمون شيئا للدين ولا يحاربون الفساد المهم أنهم يحللون لأنفسهم الموبقات كلها إلا البعض منها الذي يستقبحونه المهم أنهم يفعلون المنكرات ما أتيحت لهم ويحرمونها علي الآخرين ، والغريب والأدهى والأمر أن زعيم هذه الفرقة سب الشيخ ذات مرة واتهمه بالزندقة والكفر لأنها لا يقوم بعمل عبادات قاموا هم بابتكارها بادعاء أنها من متطلبات العصر .
يستقيل الشيخ من مشيخة الأزهر بنفسه دون طلب من أحد ليكون آخر من يتولي رئاسته من الصالحين ويتولي بعده رئيس فرقة جديدة تدعي الصاعقة ، إنهم يبيحون كل ما يحلو لهم غير أنهم لا يبيحون الربا ولا يأكلون أموال الناس بالباطل هم متعاطفون فيما بينهم مترابطون غير أنهم قساة علي كل من ليس معهم .
يقيم بجوار الشيخ فئة جديدة ولكنها قليلة العدد إنها فئة تسمي المترابطون هذه الفئة أقل الفئات ضلالا وأقلهم انحرافا عن الدين وإن كانت تعتبر عند الجميع الفئة السوية بالنسبة إلي بقية الفرق ويوجد حوله مجموعة من الأشخاص المحافظين مثله علي الدين وغن كان المحافظون في هذا الزمان أصبحوا عملة نادرة وفئة قليلة وهم لا جماعة لهم ولا أحزاب ولا زعامة إنهم يعبدون الله في بيوتهم فالمساجد قد امتلأت بالضالين والمضلين واستعملها الناس في أهداف شتي ولا قيمة من الحوار أو التعامل معهم إلا بالموت
ظهرت فئات جديدة وطوائف شتي لا حصر لها منها طائفة المتنصرين وطائفة المتحررين وطائفة الصابئة والأخيرة تقوم بالاتجاه إلي الدين النصراني القديم والذي كان موجودا قبل ظهور المهدي المنتظر منذ أكثر من مائة سنة ، وظهرت طائفة أخري

تسمي الفئة الشاذة إنهم يبيحون الشذوذ وبلا جدال وكل من خالفهم أصبح مريضا نفسيا أو مختلا اجتماعيا أو غريب الأطوار وهذه الطائفة كانت من أتباع طائفة عبدة الشيطان ٠

لم يعد من المنصفين ومن المتدينين إلا فئة قليلة نادرة تعرف الحق وتميل إلي الصواب وأصبحوا علي اتصال دائم بأنفسهم كان الشيخ هو قائدهم وهو دليلهم وقت الحاجة ومستشارهم الأمين ومرجعهم فيما يريدون أن يفعلوه ٠

بدأ يظهر في الناس المجوسية والرجوع غليها والعودة إلي عبادة الأوثان وعبادة الحيوانات فتكاد تسير في الطريق وتقابل كل الأصناف من شتي الملل والأديان في وقت واحد ومنهم من عبد البحار ومنهم من عبد الأنهار وغير ذلك ٠

يترك الشيخ بيته مع زوجته التي تسافر لتقضي بقية أيامها في أمريكا مع ابنتها ويقيم هو في منزل صغير مع زوجته الطبيبة

وجد الشيخ بعض العادات القديمة المنتشرة في الجاهلية منها وأد البنات وتذكر الشيخ قول الله تعالي " وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتواري من القوم من سوء ما بشر به"

يتجه الشيخ ليقضي بقية أيامه مع الطبيبة في العريش وخاصة وأن زوجته الأولي قد ماتت ٠

الشيخ يبكي هو وزوجته كل يوم علي ما يحدث من ضياع وانهيار للقيم والأخلاق والدين ولكن لا مفر إنها أشراط القيامة

يعلم الشيخ بنشوب الحروب بين الدول فلم تعد دولة لا تشارك في الحروب إلا الدول الضعيفة جدا ويموت الكثير ولا فائدة تزداد الزلازل حدة والبراكين قوة والعواصف تدميرا ولكن لا عودة إلي الحق ولا رجوع إلي الخير ٠

ينسي الشيخ الساعة وأشراطها ويهتم بنفسه وأسرته التي تغيب عن عينه وأحفاده الذين بدؤا في الكبر والنمو ٠

تزداد الحروب وتنتشر الأوبئة وتجف المياه في الأنهار والبحار والمحيطات ويموت الكثير من الفاسدين والمفسدين والضالين ولكن لا رجوع إلي الدين ٠

ويتجه الرجل في الدعاء إلي مولاه أن يحفظه وأسرته من شر هذه المحن وضررها وأن يثبته علي الحق هو وأهله جميعا وسط هذا الانحلال والفساد ٠

تنتشر الأوبئة أكثر والأمراض والسيول والرعود والعواصف والزلازل والحروب الأهلية والأرض كتلة من الفوضي والفساد

تظهر فرقة من الفرق تحارب دين الله وسمت نفسها بالمحاربة للدين وكانت تقوم بحرق المصاحف ولم يعد مصحف في أي مكان إلا ما قام المسلمون الحقيقيون بالاحتفاظ به وكان هناك مصحف موجود في مسجد في الجامع الأزهر علي سبيل حفظ التراث فحاولوا أخذه وحرقه ولكن الشيخ والمخلصون أسرعوا وأنقذوه ولم تمر شهور حتى أبيدت هذه الفرقة عن آخرها لقد سلط الله بعضهم علي بعض حتي ماتوا جميعا ٠

ومع كل ما حدث فإن الأرض قد أخذت في الرخاء والازدهار والتقدم فالعلم والأبحاث قد آتت أكلها والأمراض مع انتشارها يستطيع العلماء السيطرة عليها ويعجب العلماء بعلمهم فيزدادون انحرافا وفسادا ٠والشيخ يزداد في ابتهاله إلي مولاه وفي رجوعه إلي خالقه أن يحميه هو وذريته من الوقوع في الآثام والمعاصي ٠

كل من كان يمت إلي الدين الإسلامي بصلة أصبح في حالة من الخوف علي نفسه وفي حالة من القلق والتربص الشديدين من ما يدور حوله ،

يأجوج ومأجوج

يجلس الرجل مع زوجته كعادته ويسمع في المذياع عن انهيار سد في منطقة جنوب شرق آسيا عقب زلزال مدمر مقياسه ١٠ ريختر كان واصلا بين جبلين عظيمين وكان مصنوعا من الحديد ، يقول

الخبراء إنه مصنوع علي يد بشر ، وهنا تذكر الشيخ قوله تعالي " حتي إذا ساوي بين الصدفين قال انفخوا حتي إذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا " تذكر يأجوج ومأجوج لقد محت عوامل التعرية هذه الآثار ولم يرها أحد إن هذه المنطقة تشبه الصحراء القاحلة ولا أحد يهتم بها وها هو قد جاء الوقت لظهور يأجوج ومأجوج ، كان العلماء يرون بالأشعة تحت الحمراء مخلوقات أشبه بالقرود لا يعرفون مكانهم يقولون إنهم يعيشون تحت الأرض ولكن كل هذه الأبحاث كانت تحفظ لعدم وجود سند أو اقتناع بها .

ينطلق الرجل إلي أصدقائه ليحذرهم ويخوفهم من هذه الفتنة الجارفة التي ستأكل الأخضر واليابس .

إنهم مفسدون في الأرض إنهم لا يبقوا ولا يذروا يهلكون الحرث والنسل .

ويظل يبتهل إلي الله بصوت مسموع يا ربي " لما تركتني أعيش حتي ينزل هذا الوباء وأعاصره .

لم يكن يفهم الكثير ما يقول إلا المسلمون فقط فغيرهم يفسر ذلك بالجوانب العلمية .

وتمر الأيام ويسمع الشيخ عن وجود بعض الأفراد الذين لهم أيدي ومخالب وهم يشبهون الأفراد العادين ولكنهم ذو مخالب يأكلون اللحم البشري ويأكلون كل شيء والواحد منهم يتناسل بسرعة وينجب العشرة في البطن الواحدة وتلد الأنثى كل شهر وهم لا يمرضون ولا تندمل جروحهم بسهولة .

اختلف العلماء في هذه الأجناس وقالوا إنها أصناف من القرود ولكن لا يعلم حقيقتهم إلا الشيخ وأهل الدين إن مياه الأنهار بدأت تنقص والبحار بدأت تجف وكل يوم يزداد أفراد يأجوج ومأجوج انتشارا إنهم يأكلون كل شيء حتي الفضلات ويهدمون كل شيء ويفسدون كل ما يقابلهم حتي الأسلحة كانوا يعطلون مفعولها ولكن

كيف كانوا يفعلون ذلك وكيف يفهمون إنهم مخلوقات عجيبة وغريبة ولا أحد يعلم عنهم شيئا ٠
وتمر شهور قلائل لتصبح منطقة جنوب شرق أسيا منطقة جرداء جافة من المياه خالية من المحاصيل والناس تموت جوعا
وأفراد يأجوج ومأجوج يزدادون عددا وشراسة وانتشارا وتجهزت الدول لهم ولكن لا يعلمون من أين يأتون عليهم إنهم يخرجون من تحت المياه ومن الأنهار ومن المحيطات يسبحون في الماء كالأسماك ويأكلون السمك النيئ ولا يؤثر فيهم شي ء الشيخ يتوسل إلي الله ويستغيث به
" اللهم اقبضني إليك قبل أن يمسوني بسوء " ٠
لقد حملت أفرادها البنادق وبدءوا يطلقونها علي من يقابلهم من البشر لقد أصبح العالم كله في حالة من الهلع والرعب الدائم والإذاعات تتكلم ولكن لا فائدة ولا قدرة علي السيطرة الغريب أن الأرض أصيبت أكثر بالزلازل والبراكين والعواصف والرعود فانشغلوا عن همومهم بهموم أخري ومع ذلك الحروب مستمرة الأهلية منها والدولية ٠
والشيطان لا يرحم ولا يقدر ما تعيش فيه هذه الأرض في هذه الفترة لقد كان الشيطان وأعوانه يأتون علي الأماكن التي تمارس الشذوذ وكان يقوم بنسفها وحين يسأل عن هذا كان يقول إنه لا يرضي عن الفساد ولكن الشيخ يسمع ذلك من وكالات الأنباء ،
فيقول لعن الله الشيطان يقوم بقتلهم حتي يتأكد أنهم ماتوا علي الكفر ولن يجد من يمنعه إن الشيطان لا هم له إلا ذلك وهو يجد المرتع الخصب له ويكسب أنصارا بعد ذلك والعالم مشغول بيأجوج ومأجوج ٠
و تسال الزوجة الشيخ وهل هناك مخرج من هذه المحنة

فيقول : لا بد لها من زوال وانقشاع إن الله قد أتي بها كتطهير للأرض وآية للناس للرجوع إلي الدين لمن كان عنده قلب وبعد أن تأخذ الأرض قسطا من العذاب عقابا لها علي ما وصلت إليه ٠
يعود الرجل إلي قراءة القرآن هو وزوجته وتعود ابنته وأحفاده ليعيشوا جميعا في مكان واحد خاصة في كل هذه المحن وهم يتوسلون إلي الله جميعا أن يحفظهم ويصونهم ويقرءون القرآن ويكثرون من الصلاة ٠
تسأل الزوجة الشيخ وهل معني هذا هو انتهاء العالم ولكنه يقول لها : إن النبي محمد صلي الله عليه وسلم قال " لا تزال أمتي قائمة علي الحق حتي تقوم الساعة " وقال " لا تقوم الساعة حتي لا يقول أحد الله الله " ومعناه أن الساعة لن تقوم حتي يقبض الله الروح المؤمنة وهنا اطمأنت الزوجة والأولاد وطمأن الشيخ كل من كان علي اتصال به أو تعامل معه ٠كان يقضي الشيخ وقته مع أحفاده يحكي لهم مغامراته وحكاياته في طفولته وشبابه وأيضا يحكي لهم قصص السابقين ويقوم بتعليمهم القيم الدينية والتوجيهات الإسلامية التي افتقدت في زمانه هذا ، وأصبحوا يحبون السماع له والإنصات إليه خاصة وسط هذه المحن التي أفزعت القلوب وأحزنت الصدور٠
يسمع الشيخ في المذياع أن يأجوج ومأجوج قد دخلوا مصر وهنا ارتجف قلبه وقلب أهله وارتجف القطر كله والغريب أنهم دخلوا من ناحية العريش وهي المنطقة التي كان يقيم فيها ٠
لقد أهلكوا كثير ودمروا الكثير ولكنهم لم يمسوه ولا ذريته بسوء لقد كانوا جميعا يبتهلون إلي الله ويتوسلون إليه واستجاب الله لهم ومروا علي القطر كله واتجهوا إلي غيره ولكن ما دمروه في مصر أقل بكثير من ما دمروه في البلاد الأخرى وحلت علي البلاد أيام من الجوع والقحط والخوف لم تشهده علي مدي تاريخها ٠

والدعاء إلي يزداد من المخلصين والمسلمين لعل الله ينقذ البلدة من الخراب ولكن لا فائدة يعلم الشيخ أن هناك حشرة قد أصابت البلاد هذه الحشرة تشبه نغف الغنم هذه الحشرة منتشرة بصورة وبائية والشيخ يقول لزوجته عن هذا الخبر فتزداد حزنا ولكنه يبتسم ويزداد فرحا لكنها تتعجب من ذلك ولا يفصح لها عن شيء .

وتمر الأوقات ليعلم الناس أن يأجوج ومأجوج قد ماتوا جميعا ووجدوا في قفاهم هذه الحشرة وهنا شرح الشيخ لزوجته أنه كما قرأ وعلم أن هذه الحشرة سلطها الله رحمة منه للقضاء عليهم لتزول الغمة عن الأرض وكأن الغضب قد زال .

تعيش الأرض في حالة من الفرح الشديد والخمور تعود والزنا والرقص والطرب ينتشر والعالم كله يعيش في حالة من النشوة والفرح ، وتجود السماء علي الأرض فتنزل الأمطار الغزيرة وتنهمر الخيرات وتعود إلي البلاد الرفاهية والسعادة بل علي العكس لقد أنبتت الأرض الخير كله وكبرت المحاصيل في أوقات قليلة وكان الإنتاج كثيفا ولكن لم يزد ذلك الناس إلا انغماسا في الخمور والضلال والرقص والطرب لكي ينسوا المحنة التي عاشوا فيها زمانا والقحط الذي حل بهم شهورا كأن الأرض عروس تتزين لعريسها ويقول الشيخ " فلما نجاهم إلي البر إذا هم يشركون " لقد أيقن الشيخ أن الساعة قد حان وقتها أو أوشك علي الظهور .

العلم يتقدم أكثر الأمراض كلها تعالج لم يعد تقريبا هناك أمراض ومع ذلك الخير يزداد وعطاء الأرض لا نظير له والناس يزدادون في العصيان والفساد ولا عقاب لهم ولا رادع والشيخ يكبر في السن لدرجة أنه يتمني أن يموت ويلقي ربه راضيا مرضيا ودائما ما يقضي وقته مع أسرته وأحفاده في العبادة ويأمرهم بالاستزادة ويعلمهم بأنها أشراط الساعة .

الخاتمة

وتمر الأيام والشيخ يزداد في المرض ويشعر بثقل في جسمه وكل ما يتمناه أن تكون نهايته علي الخير والتقوى هو وأسرته وذريته
لقد أخذت الأرض تزدهر وتتقدم بلا رجعة إلي الوراء والسوء يزداد والفحش في امتداد لقد ظن سكان الأرض أنهم الآن قد ملكوا كل شيء وقد زين لهم الشيطان كل شيء وساعدهم علي الابتكار والاختراع والوصول إلي الجديد من الإبهار لقد اعتمدوا علي الطاقة الشمسية في كل شيء بدلا من الوقود فلا تلوث
لقد عالجوا كل الأمراض التي تزعجهم ووضعوا الشفرة الوراثية لعلاج ما يستجد منها في المستقبل خاصة للميكروبات بأنواعها فلم يعد الفرد يصاب إلا بالأمور البسيطة فالميكروبات التي هي سبب لكل الأوبئة قد تمت السيطرة عليها ووجد لها علاج ومصل كامل ٠
الكفر أصبح شريعة لم يعد يعرف عن الله إلا القليل ولم يعد هناك مسلمون يذكرون إلا فئات نادرة وقليلة ٠
ولكن الفساد يزداد والقتل والتدمير يزداد وأصبح الناس يقتلون كل من يقول لا إلا ه إلا الله يستغيث الشيخ ويعلم أنه لا محالة ومن معه سوف يقتل عاجلا أو آجلا ولكنه يختبئ هو ومن معه من أسرته ويقضون الوقت كله في العبادة ٠
يسمع الشيخ عن دابة تخرج من الأرض تجوب المعمورة وتتكلم في الناس جميعا وتقول لهم أنتم لا تؤمنون أنتم لا تعرفون الله و يفرح الشيخ ويقول الحمد لله إنها علامات القيامة الكبري سوف تقوم القيامة قريبا إن شاء ، تسأله زوجته وما فائدتها ؟ يقول الشيخ إن الله تعالي يقول " وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا " وقال" وما ربك بظلام للعبيد " ومعناه أن هذه الدابة رسول إنذار للناس ليرجعوا إلي الله حتي عن قامت القيامة وهلكوا لا يكون لهم

عذر خاصة في هذا الجو المالئ بالكفر والزندقة وتموت الدابة فجأة ليزداد الناس سوء والشر سلطانا٠

تثقل همته ويزداد جسمه مرضا وهو موقن بالمرض والنهاية الحتمية وهنا يقول ما تذكره من الشعر

تزلزلت اليدان علي المعاصم وخاف من التزلزل كل غارم

وقد ناجيت مولاي وقلبي تعلق في السماء إلي النسائم

وقلت لمن يخاف الموت شمر فإن الســـام يا غفلان قــادم

ومن يخشي الممات ويتقيه ستصحبه إلي الموت التمائم

فقومي قد احلوا كل جرم وباعوا في التقي والغدر حاكم

وعن حكم أعز الناس قبل تصلــبت الحناجر باللـــثائم

تنظر إليه زوجته وقد رافقته في المرض وصاحبته فيه والجميع يشعر بالثقل في الجسم ويستعد للنهاية الحتمية والتي أيقنوا بها ولكن الكفار لا يعلمون ولا يستعدون وينغمسون في شهواتهم

تمر علي الأرض بأكملها ريح طيبة تقبض كل روح مؤمنة وبينما الشيخ يقرا القرآن مع زوجته وأولاده يشم هذه الرائحة فيستبشر ويذكر الله ويبشرهم جميعا بالجنة لأنها خاصة بالمؤمنين ومن ماتوا علي التوحيد والجميع فرح مسرور٠

وبينما المصاحف في أيديهم وبعضهم يصلي قبضت أرواحهم جميعا الواحد تلو الآخر ٠

نهاية الكون

تصبح الأرض بلا رادع والكفر بلا رجعة ولم يكن حينئذ أحد يذكر الله والأرض مع ذلك تعيش في أزهي مراحلها من الخيرات والتألق والازدهار والشيطان لم يفرح ويسعد كما كان في هذه الأيام والعلم لم يصل بعد إلي منتهاه إلا في هذه اللحظات

وفجأة في يوم جمعة والناس ينغمسون في شهواتهم وقد اتفق كل علي تدمير بلدة بعينها ولكن بكلمة سر وفي لحظة معينة ولم يكن يعلم بأن الآخرين يدبرون له ما يدبره لهم لقد أعطي الشيطان لهم أسرار مفاعلاتهم الذرية ومفاتيحها .

وفجأة تنفجر كل هذه المفاعلات في وقت واحد لتصبح الجبال كالصوف المنفوش وتصبح الصخور كأنها شيئا منثورا في الجو متطايرا من شدة التدمير .

ومن كانت في يده ناقته العشراء كان يلقي بها ويتركها حين يسمع صوت التدمير قبل أن يصله وتصيب النار كل من علي ظهرها ويشربوا جميعا كأس المنون علي حد قوله تعالي " كأن لم تغن بالأمس " أو علي حد قول الشاعر

كأن لم يكن بين الحجون إلي الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وفي هذا اليوم تطلع الشمس من مغربها ولكن العلماء الذين لم يعد فيهم واحد يقول الله ولا يعرف غير ملة الكفر يقولون بأنها ظاهرة كونية تحتاج إلي دراسة .

وهنالك تنفجر الأرض ويشرب كل من عليها كأس المنون وتنفجر الأرض من باطنها وهنالك لا يبقي إلا وجه الله تعالي صاحب الأمر ومدبره حتي إسرافيل يقبض روح نفسه بعد أن ينفخ في الصور ولا يبقي غير وجه الله تعالي " لمن الملك اليوم لله الواحد القهار "

تمت

الفهرس

إهداء...٣
مقدمة...٤
المهدي المنتظر...٥
قصة يأجوج ومأجوج ٤٦
الخاتمة ٧٥